أ.د. ماجد بن عبدالعزيز التركي

الوهابية في الأدبيات الروسية

إصدار علمي متخصص

سلسلة الإصدارات العلمية ٤٩

الوهابية في الأدبيات الروسية

إصدار علمي متخصص

إعداد:

د. ماجد بن عبدالعزيز التركي

مركز الإعلام والدراسات العربية - الروسية
Center of Information and Arabian - Russian Studies
фонд русско-арабских исследований и информации

المقر الرئيسي: موسكو ـ روسيا الاتحادية

الفرع الرئيسي: مدينة الرياض: ص.ب: ٢٣٠١٨٥، الرمز البريدي: ١١٣٢١،

المملكة العربية السعودية

Head Office: Moscow, Russia

Main Branch: P.O Box: 230185 Riyadh: 11321, Saudi Arabia

E mail: info.russianstudies@gmail.com

www.ciars.ru

ISBN 978-5-6046249-6-8

بالتعاون مع:

المجلس الإسلامي الروسي ـ موسكو

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

حقوق النشر محفوظة

المحتويات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
كلمة الناشر	٧
توطئـــــة	٩
تقديم الكتاب	١١
القسم الأول: الوهابية في المصادر والوعي الروسي:	١٥
أولاً: من هم الوهابيون، المفتي: رضا الدين فخر الدينوف.	١٧
ثانياً: الوهابية، المفكر التتري: موسى جار الله بيغييف.	٢٣
ثالثاً: الوهابية والسلبية: الحقائق والادعاءات، السفير: أندريه بكلانوف	٣٣
رابعاً: لماذا ينبغي أن تبرر الوهابية نفسها؟، إلكسي مالاشينكو	٣٩
خامساً: الوهابية والسلبية: الحقائق والادعاءات، علي أكبر أكبروف	٤٣
سادساً: الإسلام الوهابي والسلطة، أولغا باليبا	٤٩
سابعاً: المملكة العربية السعودية ونشر دعوة الحق في روسيا، المفتي: نفيع الله عشيروف	٦٩
ثامناً: مقولات الأكاديمي يفجيني بريماكوف.. رئيس وزراء روسيا الأسبق	٧٥
القسم الثاني: ملحق علمي موضوعي عن الوهابية:	٨١
أولاً: الأصول العلمية والفكرية للوهابية/ د. عويضه الجهني.	٨٣
ثانياً: عرض لنماذج من كتابات المعتدلين عن الوهابية	٩٥

كلمة الناشر:

نتشرف في مركز الإعلام والدراسات العربية - الروسية، بإصدار هذا الكتاب العلمي القيم بعنوان: (الوهابية في الأدبيات الروسية)، و هذا إصدار علمي متخصص باللغتين العربية والروسية.

ومادة الكتاب منتقاه من انتاج علمي وإعلامي منتوع لنخبة من العلماء والباحثين والسياسيين الروس (معاصرين وغير معاصرين)، في فترات زمنية مختلفة ومتباعدة، ذات تبا عد سيا سي، و تاريخي (فترة رو سيا القيصرية/ قبل الثورة البلشفية ١٩١٨م - فترة الا تحاد السوفيتي - ورو سيا الاتحاد ية المعاصرة)، و هي مادة ذات طبيعة مو ضوعية، تناو لت مو ضوع الوهابية بحيادية علمية، رغم صعوبة ذلك، والصعوبة لم تأت من إ شكالية تتعلق بالطبيعة الفكرية والمنهجية لدعوة الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب "ر حمه الله" ولكن بما تعلق بهذه ا لدعوة من إ شكالات فر ضها خ صومها و سوقها المنتفعين من ذلك، من خلال حملات تشويه تحت مسمى/ الوهابية.

فالكتاب ر سالة علمية رو سية مو ضوعية، من ا لداخل الرو سي، لتخاطب الساحة الروسية (السياسية، والعلمية، والدينية، والإعلامية)، بعيداً عن أية مزايدات أو مصالح مترتبة على هذا الطرح العلمي.

والله ولي التوفيق.

توطئة:

من أين وردت فكرة هذا الكتاب؟

ضمن اهتمامي العلمي بتتبع الأرشيفات الروسية، والبحث في كل ورقة عتيقة ذات علاقة بتاريخ العلاقات السعودية الروسية، أجد من وقت إلى آخر مواد أرشيفية لافتة، وأحياناً مبهرة، وغير متوقعة.

في هذا الموضوع، الذي رأيت أن أضع له هذا العنوان: **(الوهابية في الأدبيات الروسية)**، لفت نظري الطرح العلمي الموضوعي للعالم الجليل **(رضاء الدين فخر الدينوف - رحمه الله)** رئيس الإدارة الدينية لمسلمي روسيا "قبل الثورة البلشفية" نشر مقالته في مجلة العصر في العام/١٩٠٦م، وكذلك ما كتبه العالم والأديب والمفكر التتري **(موسى جار الله بيغييف - رحمه الله)**، والذي تم نشره في العام/١٩٢٥م، بعد قيام الاتحاد السوفيتي، بل في بداية فترة /جوزيف ستالين.

فرأيت أنه مجال جدير بالعناية والمتابعة، فتتبعت ما كتبته النخب العلمية والسياسية الروسية، في المرحلة المعاصرة "بعد انهيار الاتحاد السوفيتي" ولا سيما مع تنامي الحملات الإعلامية المغرضة، المبنية على بُعد مذهبي "صوفي" فوجدت تنوعاً واعتدالاً وانصافاً، قلّ أن تجده لدى المحيط الخارجي العربي للمملكة العربية السعودية، فجمعته في هذا الكتاب، في العام /١٤٤٠- ٢٠١٩م، وألحقت به ملحقاً علمياً في نهاية الكتاب، عرضت فيه مختارات من كتابات بعض المعاصرين " خارج الفضاء الروسي" (طه حسين، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي)، ومختارات من بعض

مقولات الكتاب الغربيين؛ بُغية تأكيد النظرة المعتدلة تجاه هذه الدعوة الإصلاحية، ومنهجها العلمي الذي أسهم في نشر التوحيد الخالص، والتجديد للدين خاصة في "باب التوحيد العملي".

جهد علمي في سياق التخصص في الميدان الروسي، انصافاً لدعوة نبيلة في مقاصدها، معتدلة في اعتقادها، علمية في منهجها.

فرحم الله إمامها **المجدد الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب.**

ماجد التركي - رئيس المركز

تقديم الكتاب:

الأستاذ/ محمد صلاح الدينوف

رئيس المجلس الإسلامي الروسي

لا تزال الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي تسمى في بعض الأوساط بالوهابية، تخضع منذ عقود وحتى يومنا هذا لمناقشة نشطة بين النخب السياسية والفكرية، ويتم تفسيرها بطرق مختلفة.

في جميع الأوقات والازمان، كان للمصلحين مؤيدون وخصوم في ذات الوقت، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، ليس استثناء في هذا الأمر، فالنقد الذي تعرض له الشيخ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوجه السياسي والاجتماعي لفكره وفي المقام الأخير الديني.

أما ما يتعلق بروسيا، فقد كانت فترة منتصف التسعينيات وحتى بداية الألفية الثانية، الفترة الأكثر حدة في الجدل القائم حول الوهابية، ففي تلك الفترة بالذات كانت السلطة الروسية-وتحديداً تلك المهتمة بالشؤون الإسلامية- تعمل على صياغة سياسة الدولة في التعامل مع الدين الإسلامي، والخيار الإيجابي المناسب للدولة الروسية بعد "الماضي الإلحادي" الذي عاشته البلاد طيلة سبعة عقود من الزمان. وقد نتج عن تلك الفترة مصطلح "الإسلام التقليدي" لتصبح الوهابية تعبيراً عن "الإسلام الأجنبي" الغريب والمتطرف.

لم يكن الجدال في روسيا حول فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب جديدًا، بل سبق وطرح في الماضي.

ففي بداية القرن الماضي كتب علماء منطقة ما حول الفولغا والمعروفة في الروسية بمنطقة "بوفولجيا" عن هذا الموضوع بشكل موسع، وتطرق المفكرون والعلماء الروس لفكر ومنهج دعوة الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب، بكثير من التقصي ومنهم: رضا الدين فخر الدين، وموسى جار الله.

ومن أجل تقديم صورة أكثر شمولية وموضوعية حول مفهوم الوهابية في روسيا ما بين الماضي والحاضر، يطرح كتاب **"الوهابية في الأدبيات الروسية"** وجهة نظر نخبة واسعة من رجال الدين، والسياسيين، والمستشرقين الروس لتكون في متناول القارئ، حيث يقدم كل منهم تقييمه لهذه الحركة، إضافة إلى أن الكتاب يعرض أيضًا أفكار بعض الباحثين في الغرب والعالم الإسلامي حول الموضوع ذاته.

❖❖❖ ❖❖❖

"الوهابية في حد ذاتها لا تشكل أي تهديد"

جواب الرئيس فلاديمير بوتين، على سؤال أحد الصحفيين:

"بالطبع الناس، يحترزون كثيراً عند سماع كلمة الوهابية أو مواجهة مشاكل مع بعض من ينتسبون إليها، لكن الوهابية بحد ذاتها لا تشكل أي تهديد أو خطر، لكن تحريف مفاهيم الإسلام، وتحريف تعاليم منهج الوهابية، لا يمكن تفسيرها بأي طريقة أخرى غير الدعوة للإرهاب.

وأكرر، الانحرافات عن التعاليم الصحيحة.

Президент Путин:

"ваххабизм сам по себе не несет какой-то угрозы "

« وكالة انترفاكس » - «Интерфакс» تاريخ النشر: ٣١/ ٢٠٠٦/٠١م

القسم الأول:

الوهابية في الأدبيات الروسية

أولاً: من هم الوهابيون[1]:

مقالة مفتي منطقة الفولغا والأورال

الشيخ / رضا الدين فخر الدين (رحمه الله)[2]:

من يقرأ عنوان هذا المقال ربما يطرح سؤالا: "لماذا يجب معرفة، من هم الوهابيون؟! أليس لدينا أموراً أخرى تستحق الاهتمام؟ ... "عندما سألني أحد أبنائي الذي كان يدرس في مدرسة الواقع: "يا أبي، من هم الوهابيون؟" ظننت أنه يطلب شرحا عن شيء لا يعنيه. وعندما عرفت سبب طرحه للسؤال، استحوذ هذا الموضوع على اهتمامي.

---

(١) المصدر الأساسي: (مجلة العصر الجديد: أوفا/ عاصمة بشكيريا – ١٩٠٦م).

– أعاد نشر المقالة باللغة الروسية، موقع أنباء الإسلام، التابع للمجلس الإسلامي الروسي - موسكو/ روسيا الاتحادية/ ٢٠١٨م). رابط المقالة:

https://www.islamnews.ru/news-muftij-rizae-tdin-fahretdin-kto-takie-vahhabity

(٢) الشيخ/ رضا الدين فخر الدين كان المفتي الروسي الرسمي منذ عام ١٩٢٢م، وحتى ١٩٣٦م.

كما هو معلوم، ممثلو الأديان الأخرى كثيراً ما يكتبون عن معتقدات المسلمين، عن الآراء والمذاهب والمناهج. وكذلك أيضًا يقدمون الكثير من المعلومات حول هذه القضايا لتلاميذهم من الكبار والصغار. ولذلك الكثير مما لا يعرفه المتدربون والتلاميذ الذين يدرسون لفترة طويلة في المدارس الإسلامية، يفهمه بشكل جيد جداً الأطفال الذين يدرسون في مدارسهم (مدارس غير المسلمين – ملاحظة المحرر). سألت ابني، لماذا يريد معرفة، من هم "الوهابيون". تبين أن مصطلح "وهابيون" تم ذكره قبل أيام في أحد الدروس المتعلقة بموضوع ما، وشرح المدرس بعض الأمور المرتبطة بـ" الوهابيون". أيضًا ما لفت انتباهي، أنه في الكتاب الذي يستخدم كمنهج دراسي، ورد حول المذهب الوهابي: "طائفة لا تعترف بمحمد". بعد سماعي هذا، كنت ملزماً بتصحيح بعض أجزاء الدرس الذي حصل عليه ابني. وعلى هذا الأساس، قدمت له المعلومات التالية:

"الوهابيون" اسم يطلق على الأشخاص الذين يتّبعون "الجماعة أو الحركة الوهابيـــة" التي تأسست في بداية القرن الثاني عشر في اليمن على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان النجدي التميمي الحنبلي. كان من الأولى تسمية أتباعه بـ "المحمديين" لأن اسم هذا الشخص هو محمد. ولكن الأعداء لم يجدوا من المناسب تسميتهم بهذا الاسم المبارك، وعليه أخذوا يسمّون هؤلاء الناس باسم أبيه عبدالوهاب.

محمد بن عبدالوهاب، الذي ورد ذكره أعلاه ولد عام ١١١٥هجرية، عاش حياة طويلة وتوفي عام ١٢٠٤هـ عن عمر ٩١ عام. بعدما أنهى تعليمه في

وطنه (نجد، وسط البلاد – ملاحظة المحرر)، سافر إلى البصرة، الحجاز (مناطق شبه الجزيرة العربية)، والشام (الأراضي السورية والأردنية)، التقى مع العلماء العظماء في ذلك الزمن، وحصل من الكثيرين منه على إجازة (شهادة تمنحه الحق بتعليم الآخرين)، بعد ذلك، رجع إلى موطنه نجد، حيث أسس تياراً لتطهير الإسلام من البدع، وأصبح يدعو الناس لذلك. وبفضل بلاغته وشجاعته الفريدة انتشرت تعاليمه على نطاق واسع. في هذا الوقت، أعتبر ابن سعود الذي ظهر في الجزيرة العربية، أن تعاليمه مناسبة لأهدافه السياسية، وتحت مسمى "الوهابية" (الذي نشأ ذلك الوقت) غزى عدة مناطق. في شهر شوال ١٢١٨هـ، سيطر ابن سعود على مكة، وقاتل لبعض الوقت ضد القوات التركية والمصرية، ولكنه هزم.

على الرغم من أن ابن سعود وقع في الأسر وتم نقله إلى إسطنبول، لم تهزم الوهابية، بل، ربما على العكس، انتشرت في جميع أنحاء العالم. في ذلك الوقت، كان مسلمو نجد والبحرين وعسير ومعظم مسلمي اليمن من الوهابيين. وكذلك، يقال أن الكثيرين من مصر وبلاد هندستان (الهند وباكستان الحاليتين – ملاحظة المحرر) أيضًا اتبعوا هذا التيار.

– الوهابية لم تكن تياراً جديداً مثل الطائفة (الشيعية) "البابية" بل أتصفت بالسعي لعودة الإسلام للبساطة والوضع الطبيعي– الإسلام الذين كان في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة (رضي الله عنهم) وبالتالي، لا يوجد في عقيدة الوهابيين ما يخالف عقيـــدة السلف، بل مذهبهم في الفقه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل (رضي الله عنه). ولذلك الحديث عنهم بأنهم: "ينكرون

محمد (صلى الله عليه وسلم)"، هذا أكبر كذب وأكبر بهتان. هم بالعكس، يعملون على الالتزام بالشريعة الإسلامية ونشرها بشكل نقي، ويظهرون حرصاً استثنائياً للعمل وفقا للأحاديث التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وسلم). وفقا لأقوالهم: الذهاب للميت والتوسل هناك إلى الله لطلب الحاجة، وذبح النذور للميت، وذبح القربان له، وطلب المساعدة من الميت، والسفر خصيصاً من أجل زيارة القبور، وتشييد البناء فوق القبر، وبناء المنارات (المآذن) فوق المساجد - كل هذه الأمور تعتبر أفعال محرمة. هذه تحديداً ما يميز مستوى التزامهم الديني وأساس نهجهم. ونظراً إلى أن هذه العبادات لم تكن قائمة في زمن النبي، فقط كانوا اعتماداً على بعض الآيات والأحاديث كأدلة، يصفون من يقوم بهذه الأفعال الممنوعة شرعاً بالمشركين. عبادة غير الله: فالله وحده يقضي حاجات الناس، ويحفظنا من جميع المحن والبلايا، وهو رب العالمين، فإن طلب العون من غير الله شرك. وأما أولئك الذين يتوجهون بالدعاء إذا ما أصابتهم مصيبة: "يا شيخ عبد القادر!" أو "يا شيخي مدد!"، وكذلك: "إذا تحققت أمنيتي فإني أنذر على نفسي للسيد المتوفى بهاء الدين بكذا وكذا"، فيقدم لهم الوهابيون الشرح التالي: "حتى عندما كان عبد القادر والسيد بهاء الدين أحياء، لم يكن في استطاعتهما أن يحركا ذرة غبار من مكانها، فماذا بإمكان عظامهم أن تفعل! وقد يكون ذاك الشيخ أصلاً ممن أعرض الله عنهم. وبالتالي، بدلا من طلب العون منهم، توجه بروح خالصة فقط إلى الله وحده، واطلب العون منه فقط. فأبواب رحمة الله سبحانه وتعالى مفتوحة حتى للخطّائين ورحمته واسعة جدا".

أولاً: الوهابيون يسعون لإعادة النقاء والبساطة والانفتاح السابق للإسلام، ويبذلون جهدا استثنائيا لنشر المعرفة بالقرآن والسنة.

ثانياً: الرفض القاطع لتلك الأمور كالنذر وطلب المساعدة من الأموات والسفر لزيارة القبور، فإنها تخرج من يفعلها من الإسلام.

مع الأخذ بعين الاعتبار فقط أحد الطرفين المذكورين أعلاه، فإن البعض سوف يمدحون أفعالهم، وآخرون – سيعتبرونهم أعداء ويوبخون أفعالهم. في الحقيقة، يمنع التسرع في وصف المسلمين الضالين. وكذلك ليس من البر أن نصفهم بالكافرين بسبب الأفعال التي يقومون بها دون تفكير أو بإهمال منهم. يقال أن عقيدة الوهابيين وردت في كتاب مؤسس هذا التيار محمد بن عبدالوهاب بعنوان "كتاب التوحيد".

إضافة إلى ذلك، تُذكِّر الصحافة المصرية بصدور كتب " تذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب" و "توضيح توحيد الخالق". وردت في كتاب "عجائب الأثار في التراجم والأخبار" (الجبرتي، الجزء ٤، ص١٤٠) كلمات جندي من الجيش المصري، ممن حاربوا ضد الوهابيين في ١٢٢٧-١٢٢٩هـ: "كيف يمكننا هزيمة الوهابيين؟ الكثير منّا ليس لديهم معرفة بالدين، وحتى من لديهم المعرفة لا يتبعون تعاليم الإسلام. نحن نحمل معنا صناديق الكحول، ولا يسمع الآذان في صفوف قواتنا، ولا يرى بيننا من يصلي. وأما الوهابيون فيصدحون بالآذان عاليا، ودائما يصطفون خلف إمام واحد، ويصلون بخشوع وخضوع كامل. وأما " صلاة الخوف" (صلاة الحرب، ينقسم المسلمون إلى جماعتين، تصلي الأولى، وتقوم الجماعة الثانية بالحماية-

ملاحظة المحرر) فإن قواتنا لا علم لها بها، في حين أن الوهابيين في وقت الحرب يصلون صلاة الخوف، وقواتنا تنظر إليهم بدهشة ولا تفهم ماذا يفعلون".

- **استنتاج: الوهابيون** – هم جزء من أمة نبينا، وهم إخواننا في الدين. ولكن على الرغم من هذا، هناك سبيل واحد فقط في قضايا الإيمان والأفعال، والذي يمكن اتباعه ـ هو سبيل النبي محمد بن عبدالله الهاشمي القريشي المكي المدني. اتباع سبيله عن طريق، أو، على الأقل، الاجتهاد في اتباعه– وهذا فرض على كل فرد منا. إذا أراد الناس فليكونوا وهابيين. وإذا أرادوا فليعتزوا ويتفاخروا بأنهم يتبعون مذهب العشاري أو المذهب الماتريدي. ولكن الحقيقة هي فقط في السبيل الذي علمنا إياه نبينا.

هذه هي المعلومات التي قدمتها لولدي. وأنا قررت، أن من الضروري نشر هذا المقال، وخروجه للنور أملا في أنه قد يساعد في تصحيح آراء أولئك الذين سمعوا عن الوهابيين، ولم يفهموا سبيلهم بشكل صحيح، أو من قرأ عنهم في الكتب باللغة الروسية، ويعتقد أنهم أناس خرجوا من ملة الإسلام.

ثانياً: الوهابية[1]:

المفكر التتري/ موسى جار الله بيغييف[2]:

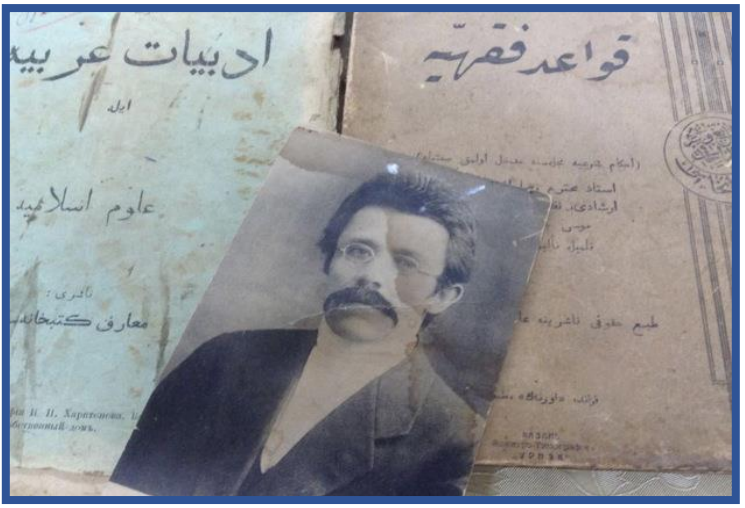

في بعض الأحيان حتى المعلومات الزائفة تكون مهمة جدًا. في الأسابيع الأخيرة كانت الصحف مليئة بالأخبار المخيفة بأن الوهابيين هاجموا المدينة المنورة ودمروا القبر الشريف لنبينا صاحب الشرع الحكيم.

وعلى الرغم من أن هذه الأخبار المثيرة للغضب في روح القارئ كانت كذباً واضحاً وافتراءً على الوهابيين المتميزين بصدق الإيمان والكمال بين المسلمين،

(١) إصدار دار النشر «الإسلام عبر العصور» بتاريخ/١٩٢٥م، رقم العدد: (٧,١٥٧) رقم الصفحة/١٦٠.

المترجم: رميل فصاحوف (تمت إعادة النشر في (إسلام نيوز- وكالة الأنباء الإسلامية الروسية) موسكو.

(٢) موسى جار الله بيغييف، مفكر تتاري، ضمن فيدرالية روسيا الاتحادية، التابعة حينها للاتحاد السوفيتي، نشرت له سيرة ذاتية مفصلة وصور شخصية في سياق كتاب: رحلة الحجاج السوفييت، الصادر عن المركز.

ومع ذلك فإن هذه الأخبار تم نشرها في هذه الصحف. وذلك لأن البريطانيين ظلوا بلا حماية تماماً أمامَ الخطر الذي يشكله الوهابيون، بينما حقق الوهابيون قوة رهيبة في حركتهم. شاهد ذلك موظفو البرقيات فبدأوا ينشرون معلومات كاذبة عن الأحداث الأخيرة، والتي أصبحت بدورها مهمة جدًا بالنسبة لنا. في الواقع فإنهم نشروا أخباراً صادقة مع أنهم كانوا يريدون إخفاءها عنا؛

مكة في أيدي الوهابيين، ولم يستول ابن سعود على أراضي مكة بمساعدة الإنكليز، وإنما فعل ذلك بقواته الخاصة. في هذا العام قام الأمير ابن سعود، بأداء شعائر الحج بجيشه المسلح الذي يبلغ قوامه مائة ألف جندي. ونظرا لحرمة المدينة المنورة، وكذلك رغبة في عدم إلحاق الضرر بأهل هذه المدينة لم يهاجمها، وإنما اضطر للالتفاف على المدينة من كل الأطراف ومحاصرتها.

سوف تكون المدينة في أيدي الوهابيين قريبًا. ففي هذا الوقت سوف تقوم جميع قبائل شبه الجزيرة العربية. سوف تصبح السواحل البحرية والسكك الحديدية في أيدي الوهابيين. وسوف تنتشر حركة الوهابيين نحو سوريا. ومثلما قام الدروز ضد الاستعمار الفرنسي، ستقوم سوريا كلها ضد البريطانيين. ومسألة الموصل (في العراق) بكل مشاكلها لا تزال في الحسبان. ومن الممكن أيضًا أن تندمج قوى ابن سعود وتركيا.

أن تمدد ابن سعود سوف يصل إلى أراضي العراق، وينتهي إلى أطراف الهند وعدن. هذه الأحداث المحتملة التي تكاد أن تتحقق، هي أحداث مهمة للغاية بالنسبة للجزيرة العربية الصحراوية. فإن ذلك سوف يتحقق، وإن لم يكن اليوم، ففي المستقبل القريب ولا محالة.

كل هذه الأكاذيب الواضحة والافتراءات المثيرة للشحناء تعبّر عن عجز الإنكليز أمام الوهابيين بسبب غفلة حكومات بعض الدول مثل إيران ومصر والهند، وبسبب مكر الإنكليز صارت الاضطرابات البسيطة في الشعب تعتبر ظاهرة عادية ولعبة غير مهمة.

على الرغم أن سياسة الإنكليز كانت تولي اهتماماً لمثل هذه الألعاب، فإنها في المنظور الإسلامي لم تضر وما كانت لتضر لابن سعود. لولا أحوال العالم الإسلامي بهذه الدرجة من الغفلة لما تمكن وكلاء التلغراف من إشاعة مثل هذه الأكاذيب علناً.

ومع ذلك فإني أعرب عن شكري لوكلاء التلغراف على ما نشروه من الأكاذيب؛ لأنهم بذلك لفتوا أنظار العالم كله إلى الحركة الوهابية المليئة بالعبر، معلنين قوتهم العظيمة للمجتمع الإسلامي بأكمله.

لقد أعطونا فرصة للتحدث عن حقيقة الوهابية وعن أهدافهم الدينية والسياسية. على الرغم من أن روح الحرب العالمية والثورة العظيمة سببت في تعجيل حركة الوهابيين إلى حد ما، وفي توسيع أهدافهم ومبادئهم الدينية والسياسية، إلا أن الوهابية ظلت اتجاهاً قديماً في العالم الإسلامي. كانت هي أول وأبرك حركة ذات همّة عظيمة وجهادٍ قوي في مسيرة إيقاظ الشعوب الإسلامية.

أول من وضع الأساس لفكرة الوهابية كان المجتهد العظيم ومجدد القرن الثالث عشر الهجري محمد بن عبدالوهاب، المولود حوالي عام ١٧٠٠ الميلادي، في بلاد نجد في الصحراء العربية التي كانت بعيدة عن الثقافة العالمية

الفاسدة. تربّى في عائلة عادية لم تتميز بشيء عن باقية العوائل ولم تكن مدللة بالملذات الدنيوية.

ترعرع صبياً في بيئة بدوية صافية نوعاً ما، وهنالك تشكلت عقيدته. تربى في طريق المعرفة والأخلاق، وكان صاحب همة عالية في طريق طلب العلم، استطاع أن يحقق درجة المجتهدين.

وكان العالم الإسلامي في ذلك الوقت خالياً تماماً من كبار العلماء المثقفين وكان يتخلف في النمو المادي والديني. فقد سلك محمد بن عبدالوهاب سبيل الجهاد معلناً الأذان وداعيا الأمة الإسلامية إلى الصراط المستقيم، متحلياً بالإيمان القوي وبالرغبة في نشر العلم.

لقد طاف محمد بن عبدالوهاب في سبيل ذلك على شبه الجزيرة العربية طولا وعرضاَ.

في وقت قصير جلبت جهوده نتائج عظيمة، الدعوة التى قام بها انتشرت وتم قبولها في شبه الجزيرة العربية. وقد اجتذبت هذه الدعوة – في وقت لاحق – زعيم قبيلة آل سعود، الذي كان آنذاك عالماً كبيراً في منطقة نجد كلها وهو عبدالله بن سعود (محمد بن سعود – تصحيح المحرر). بالإضافة إلى الوزن الديني يصبح كذلك صاحب سلطة عظيمة.

بعد هذه الأحداث يلجأ محمد بن عبدالوهاب إلى قوة سلطان عبدالله بن سعود (محمد بن سعود – تصحيح المحرر)، ويتم تأسيس دولة مستقلة في نجد.

تلك الدولة التي تأسست من خلال جهود محمد بن عبدالوهاب في نجد هي مثال لإدارة الدولة على عهد دولة الخلفاء الراشدين، حيث ازداد الناس تقوى،

وا متلأت ا لمدارس والكتاتيب الواقعة في وا حات ال صحراء الشا سعة بالعلم والتعليم، وامتازت المؤسسات القضائية بكامل العدالة، والحكام بالصدق.

توفي محمد بن عبدالوهاب عام/١٧٨٧م. استمرت تلك الحركة، والدو لة، و نمط الحكم مما كان مرتبطًا با سم ا بن عبدالوهاب حتى بعد وفا ته. أ عادت الوهابيةُ الإ سلام إلى عهد الاجتهاد الأول ا لذي تميزت به فترة ولا ية الخلفاء الراشدين، وبالتالي سعتْ في إعادة الا ستقلال لمثلي الإ سلام في تحرير ا لدين من البدع والمعتقدات الفاسدة. وفي الواقع، فإن الوهابيةُ كا نت هي طريقة ا بن تيمية

ثم يأتي محلّ ابن عبدالوهاب تلميذه النجيب عبدالله بن سعود، (محمد بن سعود- ا لمحرر). في ذ لك الو قت لم يعد للدو لة العثمانية أي أ ثر من مكانتها السابقة وقوتها. لم يبقَ للدو لة غير الا سم. تُرك ا لحرم المكي وا لمدني وحتى أراضى كل شبه الجزيرة العربية عموماً بلا اهتمام وأ صبحت كمنطقة مهجورة. أما محمد بن سعود، فَلِكَونِه تلميذاً قوياً ولائقاً بأ ستاذه محمد بن عبدالوهاب، فقد احتوى في السنوات الأولى من القرن التا سع عشر أرا ضي مكة المحرمة والمدينة المنورة تحت جناح حكمه.

انتشرت الوهابيةُ في جميع أرا ضي شبه الجزيرة العربية، وفي عام ١٨١٤ كان ابن سعود على استعداد للاستيلاء حتى على أرا ضي الشام و سوريا. بقي السلطان التركي محمود في وضع عاجز تما مًا، فطلب محمد علي المساعدة من الباشا. وبمساعدة القوات الموالية للبا شا قام ا لحاكم المصري محمد علي بإ عادة أراضي المدينة من أيدي الوهابيةُ. بعد ذلك، اضطر الو هابيون على الترا جع إلى

صحراء نجد. وكان آنذاك يبدو أن زمن حكمهم السياسي الذي لم يستمر طويلاً قَرُب إلى الزوال. لكن الأحداث الأخيرة لم تؤثر على الوهابيين إلا أنها أضافت لعزمهم وحركتهم الدينية قوةً جديدةً. فأصبحت نجد في فترة وجيزة عاصمة الاجتهاد. ومن ذلك، امتدت فكرة الاجتهاد إلى أراضي الهند وأفغانستان. وتسربت إلى صحاري أفريقيا من قبل السنوسية. وكذلك حضرة جمال الدين الأفغاني، مع كونه مشهوراً في حركة التحرير والصحوة كان أحد الشخصيات البراقة ممن يمثل الوهابية، وكان تلميذاً متمكناً لابن عبد الوهاب.

تلك الحركات التي حدثت في مصر على مدار آخر ثلاثين أو أربعين سنة هي في الحقيقة نتيجة لأنشطة الوهابيين.

في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وهي سنوات الحرية والاستقلال شهدت الحركة الوهابية بعض الركود. بدأت الدول الأوروبية تغزو دول الإسلام. تميز القرن التاسع عشر بغزو البلدان الإسلامية. حيث سيطرت روسيا على أراضى القوقاز وتركستان، ونشرت إنجلترا سلطتها في جميع أنحاء الهند ومصر، واستولت فرنسا على بلاد المغرب والجزائر وتونس. واحتلت الدول الأوروبية أجمل المناطق في تركيا التي نأت بنفسها عن الشرق تماماً ووجهت أعمالها الخيرية نحو أوروبا.

إذا القرن التاسع عشر في تاريخ الثقافة العالمية قد اتسم بقرن النمو والازدهار في الثقافة والعلوم والتعليم، فإن الأمم الإسلامية عايشت عصر الانهيار والدمار الكامل والاحتلال الشامل.

لقد نقلت الثقافة الرأسمالية الأوروبية إلينا رذائلها، مثل المواد والألبسة الخاصة بمجتمعها، والمقامرة والمشروبات المسكرة. لكن في الوقت نفسه لم يأخذ المجتمع الإسلامي منهم تكتيكاتهم والجوانب الإيجابية من التنمية. توغلت جميع عيوب الثقافة الحديثة في العالم الشرقي، متخطية الجمارك ومستولياً على هذه الأراضي من جميع الجهات.

العالم الشرقي الذي لم يكن مطلعاً على فضائل الثقافة المدنية وجوانبها الإيجابية كان ينظر باحتقار إلى المعايير الرأسمالية المتصفة بفساد وشر وفجور، فمن هنا تخلى تماما عن هذه الثقافة، وبالطبع كان معذوراً في ذلك.

ربما في كلام الدبلوماسيين الذين شمروا عن ساعد الجد في الدراسة والبحث عن الجوانب المعيبة في الشرق كان أيضًا نصيب من الحق، لكن توجد لدى الشرق جوانب في غاية الأهمية وفي غاية القيمة لن تتخلى عنها أبدا. أن الشرق الذي لم يرَ في الحضارة الأوروبية سوى الرذائل سوف ينفر عن أوروبا ويعادي نظامها الرأسمالى.

لقد كشفت الحرب العالمية عن جميع جوانب العجز الذي تتصف به الدول العظمى.

أن الاتفاقيات والوعود الكاذبة الشيطانية للدول الكبرى في مجال الاقتصاد والسياسة قد دمرت تماماً في أعين الشرق مكانة تلك الدول التي كانت تعتبر آنذاك عظيمةً وضيّعت الاحترام الذي كان يشعر به الشرق تجاهها. لم يبقَ لدى الشرق شعور بالإجلال والاحترام والاعتراف بمكانة تجاه أي دولة وتجاه أي بلد منها. أن الشرق الذي كان يكره أوروبا ويعادي معاييرها الرأسمالية المتصفة

بالغرور والعدوانية الشرسة استيقظ أخيرا استيقاظاً تاماً. كانت النعمة التي جلبتها الحرب العالمية الأولى للعالم الإسلامي هي الصحوة. حقاً، أنه حدث سياسي هام عظيم في القرن العشرين يجري مرة أخرى في شبه الجزيرة العربية.

ترك الوهابيون أوديتهم الهادئة ودخلوا الساحة السياسية مرة أخرى جماعةً مسلحة، قوية، عظيمة. في تلك الأيام كان يقود الحركة الوهابية الحاكم القوي عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود. وكان حفيدَ محمد بن سعود الذي قاد الحركة الوهابية منذ ١٠٠ عام. كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن متميزاً ببلاغته وكان فقيهاً وملمّاً بالوضع الحالي للأمور.

الوهابيةُ في هذه الأيام ليست كالوهابية قبل مائة عام؛ لقد تعرضت للضغط السياسي الأوروبي الذي استمرّ لمدة قرن، وتلقّت من الحرب العالمية العظمى دروساً مفيدةً عجيبة. وأيضا، فإنّ الدروس التي تلقتها خلال فترة ما بعد الثورة من قبل القادة البلشفيين في غاية الأهمية.

ثم الثورة في الخلافة التركية لقد وسعت للوهابيين دائرة الآمال في اتجاه آخر. وأخيرا، فإن الحركتين القويّتين: الوهابيةُ والسنوسية اضطرتا لتوحيد صفوفهما، فتم ذلك في بلاد الحرمين عند الكعبة المشرفة المقدسة لدى العالم الإسلامي. **بالنظر إلى الأوضاع السياسية والدينية قامت هاتان القوتان بالمعاهدة:**

١- حماية تامة لأراضي الكعبة المقدسة من قوى الدول غير الإسلامية، ويكون ذلك وظيفتهم الأساسية، وغايتهم المقدسة، ومبدأهم الرفيع.

٢- أراضي الحرمين (منطقة الحجاز) ستكون منطقة منفصلة تتمتع بالاستقلال التام. العالم الإسلامي بأكمله سيقوم بحماية الحجاز - الحرم المكي والمدني - مثلما يحمون أرواحهم.

٣- يتم تشكيل مؤتمر مشترك تشمل مهامه حل جميع مسائل الحجاز. هذه كانت الأهداف الدينية والسياسية للوهابيين في ذلك الوقت.

ثم أن انتشار الحركات الثورية انتشاراً سريعاً في إطار انتشار موجة سياسية واقتصادية للعالم الرأسمالي كان مساعداً فعالاً للحركة الوهابية.

وكذلك الحركة البروليتارية (حركة العمال) المنتشرة في كل مكان تخدم في النهاية المقاصد العظيمة للمدول الإسلامية. لقد أدرك قادة الحركتين - الوهابية والسنوسية - فوائد هذا الوضع؛ لقد وحدوا جهودهم مستفيدين من اللحظة المواتية وذلك لمزيد من حركة مشتركة. فهم لن يفوتوا فرصتهم ليصلوا إلى غرضهم وليحرروا الجزيرة بأكملها. ستكون هذه إحدى البركات العظيمة التى ستجلبها لنا الثورة العظيمة. هذا هو إيمانى وأمنيتى.

❖❖❖ ❖❖❖

ثالثاً: الوهابية والسلفية[1]:

السفير / أندريه باكلانوف[2]:

كان من الممكن قول أشياء كثيرة هنا، ومع ذلك، وبصراحة، أنني مهتم جدا بموضوع اليوم. واعتقد، ربما أخذا بنظر الاعتبار أن الجوانب السياسية قد جعلت الدكتور ماجد التركي، والصحفيين يبحثون ويوضحون جدا ويركزون على موضوع: الوهابية والسلفية: الحقائق والادعاءات.

اعتقد أن بوسعنا اليوم أن نحاول الاتفاق بصورة تطبيقية بغية ألا يكون هناك تشويش مؤسف في المفاهيم. وبغية أن نتفق فيما بيننا، ولو من ناحية المصطلحات وتحديد الأعداء الذين يجب أن نحاربهم سوية: أعداء الإسلام، وأعداء البشرية، والمتطرفون، والإرهابيون الدوليون.

وللأسف، لا بد من القول، أن عدم وضوح المفاهيم وعدم تطابق المواقف أمر مميز لفترة زمنية طويلة في داخل مدرستنا للاستشراق أيضًا، ويحدث ذلك عندما يلتقي خبراؤنا، والخبراء من البلدان العربية، ولا سيما من المملكة العربية السعودية.

---

(١) ضمن فعاليات الندوة العلمية: (الوهابية والسلفية: الحقائق والادعاءات)، موسكو: (يوم الخميس: ٢٨/ ربيع الآخر/ ١٤٣٨ هـ الموافق: ٢٦/ يناير/ ٢٠١٧م)، بالتعاون بين المجلس الإسلامي الروسي، ومركز الإعلام والدراسات العربية ـ الروسية.

(٢) سفير سابق في المملكة العربية السعودية (خلال الفترة: ١٧/١٠/٢٠٠٠م ـ ٢٢/٠٩/٢٠٠٥م)، ومستشار نائب رئيس مجلس الاتحاد الروسي/ السينات.

ولا زالت منتشرة على نطاق واسع في أدبياتنا بعض التسميات مثل الوهابية وغيرها، ويقصد بها عموما، وحسب ما يفهمها الناس، القاعدة الإيديولوجية للمتطرفين المتشددين والإرهابيين.

في عام ٢٠٠٠م، زرت الرياض وكان ذلك في يوم العطلة الأسبوعية. وقررت الذهاب إلى المتحف، وأقول بصراحة، أنني طلبت أن أرى المواد والصور الفوتوغرافية التاريخية والنصوص المتعلقة بمفهوم "الوهابية". علما أنه يرد في "يوكيبيديا" وغيرها من المصادر جميعا ما يلي: **الوهابية** - هي الدين الرسمي في المملكة العربية السعودية. ولم أجد في المتحف في الرياض أية مادة معروضة وأي نص مطبوع يحمل هذه التسمية. بينما كتب الكثير عن نشاط محمد بن عبدالوهاب كإنسان ساعد على تأسيس المملكة العربية السعودية سوية مع الأسرة الحاكمة.

التقيت بعد أسبوع وزير الخارجية (السعودي) آنذاك/ الأمير سعود الفيصل. وعندما انتهى القسم الرسمي للقاء سألت وزير الخارجية: "أنني زرت المتحف". فقال: "حسنا جدا أن بدأت بهذا زيارتك إلى المملكة العربية السعودية، هذا يسرني جدا". ورويت له أنني لم أعثر هناك على أي شئ عن الوهابية. فقال: "نحن نعلم أن هذه التسمية غالبا ما ترد في أدبياتكم، بصفتها كلمة شتم في كل ما يتعلق بالمملكة العربية السعودية والتطرف. لكن الأمر ليس كذلك". وطرحت له وجهة نظري.

لقد أدهشتني أكثر وأوضحت لي لحد ما وجهة نظر الزملاء السعوديين، وكذلك مقابلة وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الذي ينتمي إلى

أسرة آل الشيخ ، أي هو واحد من أحفاد الشيخ عبدالوهاب. فقال لي ما يلي: "أن مصطلح "الوهابية" كما نفهمه هو من ابتداع خصومنا الإيديولوجيين وبالذات الأتراك في الزمان الذي وجدت بيننا خلافات سياسية وإيديولوجية ودينية. وقد ابتدع من أجل التشهير بالعمل الصالح لجدنا الأكبر الذي لم يخرج أبدا عن أحكام المذاهب الأربعة في الإسلام. وتم ابتداع الوهابية بغية إثبات الفكرة الزاعمة بأنه مؤسس مذهب جديد لا يتفق مع الإسلام التقليدي". وأورد الموزير التفسير التالي: أنها محاول للتشهير بتعاليم محمد بن عبدالوهاب، والتشهير بالقاعدة الإيديولوجية والدينية للمملكة العربية السعودية.

أنني أوردت هذا المثال لكي أظهر مدى تجذر القوالب أحيانا والذي لا يتفق مع إدراك الناس الذين يفهمون الأمور عموما أكثر من غيرهم جميعا. وهذا شيء سيئ. لكن الأسوأ هو شيء آخر تماما. فنحن إذا سمينا الإرهابيين والمتطرفين بأنهم من الوهابيين فمعنى ذلك إننا ندرجهم في المعارضة الدينية. وهذا ما يرضيهم تماما.

ولكن لماذا نسمي المتطرفين والإرهابيين باسم شخص كان داعية دينيا له مكانة كبيرة في الإسلام؟ وإذا ما كانوا متطرفين وإرهابيين فيجب ألا تطلق عليهم تسمية كهذه ذات طابع ديني، لأننا بهذا الفعل نرفع من قيمتهم ونمنحهم صفة لا يرتقون إليها. تجب مكافحتهم بصفتهم متطرفين وإرهابيين.

وهنا يطرح السؤال. إذا ما أخذنا الأفراد الذين يحملون السلاح الآن ويحاربون الأنظمة الحاكمة والناس ويرتكبون الجرائم، فهل أن هذه الظاهرة

تعتبر في الأساس ـ تفسير متطرف للإسلام؟ أم أنها ظاهرة ذات أصول متطرفة نبتت على تربة إسلامية؟

أنا اعتقد أن الصواب هو أن نلتزم بالاتجاه الثاني. أنها فرع متطرف، قبل كل شيء، يضاف إليه ما أعطاه القرن العشرون والقرن الواحد والعشرون ـ أي الارتباط بالجريمة المنظمة، والأجهزة الخاصة لبعض البلدان.

وهذا الأمر يقلقني دائما ويثير دهشتي: لماذا توجد هذه الأفكار وقيادة أفعال الإرهابيين ومراكزهم في أراضي بلدان أخرى ـ هي البلدان الغربية.

في أعوام السبعينيات والثمانينات سافرت إلى بريطانيا للعمل في سفارتنا بلندن. وقد تدارست بين أمور أخرى العلاقات مع البلدان الأخرى، أي مع البلدان الإسلامية، ونشاط المنظمات المتطرفة في بريطانيا. وعجبت لوجود مقار هذه المنظمات في أماكن مثل منطقة فيكتوريا بوسط المدينة. أي هناك حيث لا تستطيع الحصول على قطعة أرض حتى الشركات الكبرى أو السفارات على مدى الأعوام. بينما هؤلاء الناس لديهم عقارات هناك.

أنا اعتقد بأن أحد الاتجاهات الرئيسية لجهودنا يجب أن يكون كشف صلات الإرهابيين والعناصر الإجرامية والجريمة المنظمة في مختلف المناطق، في مناطق العالم العربي، والعالم الإسلامي، وخارج هذه المناطق. واعتقد أن ما يحدث الآن هو قبل كل شيء تفرع وصورة جديدة للتطرف والتشدد، وليس فقط يقوم على أساس الفهم غير الصحيح للإسلام.

- **وفي الختام أود أن أطرح هذا السؤال في جدول الأعمال. ماذا بوسعنا عمله لمعالجة مسألتين سوية؟**

- **الأولى: إعطاء تحديد دقيق للمصطلحات**، بغية أن تكون سليمة، ولا تثير نفور الخبراء الذين يعرفون ماذا يكمن وراء ذلك.
- **والمسألة الثانية هي ربما أكثر أهمية:** كيف نخلع اللباس الديني من المتطرفين والإرهابيين؟ أنهم يرتدونه بغية أن يحصلوا على قاعدة جماهيرية بين المؤمنين، ويمارسون خداعهم وتصوير هذه القاعدة لجرائمهم وكأنها قاعدة دينية، بينما هي ليست كذلك.

هذا ما أردت قوله بغية أن نعمل في هذه التشكيلة ذات المكانة، حيث يوجد خبراء من ممثلي المجتمع الروسي والسيد التركي وزميلاه المحترمان جدا، الذين جاءوا، والذين يعملون معنا منذ فترة طويلة جدا في شتى الاتجاهات. وذلك بغية أن نتوصل إلى تفاهم متبادل حول هذه القضية. وبغية أن نتمكن من تيسير مكافحة التيارات الخطرة المتطرفة، ولا سيما الإرهابيين الدوليين، مكافحة ناجحة ومنسقة أكثر. وشكرا!

❖❖❖ ❖❖❖

رابعاً: لماذا ينبغي أن تبرر الوهابية نفسها؟[1]

بروفيسور/ إلكسي مالاشينكو[2]

أنا اقترح النزول إلى عالم الواقع. وبعد أن سمعت كل ما قيل هنا تولد لدي إحساس بأن الوهابية يجب أن تبرر نفسها، وأن السلفية يجب أن تبرر نفسها. فلماذا؟

نحن نشكو من موقف وسائل الإعلام. ونحن نشكو من السياسيين الذين يوردون أقوالا فظة. فدعنا نتفق، ونتولى السلطة ونصدر سلسلة من الكتب الشعبية بمائة وخمسين صفحة، على سبيل المثال (سيرة وحياة محمد بن عبدالوهاب)، ونكتب أي رجل كان بدون كل تلك السخافات الايديولوجية التي تنشر في إعلامنا. فهو ينتمي إلى التاريخ والى العصر الراهن.

هذا إذا ما أردنا أن نؤثر بشكل ما على الوضع، فيجب أن نشرح للناس ما هي السلفيـــة. مجرد كتاب صغير يكتب بأسلوب جيد وبلا أخطاء. ألا نستطيع ذلك؟ أم أننا لا نستطيع الاتفاق بصدد نشره؟ بلا كلام عن الإرهابيين والمتطرفين.

---

(١) كلمة البروفيسور/ إلكسي مالا شينكو- ضمن فعاليات الندوة العلمية: (الوهابية والسلفية: الحقائق والادعاءات)، موسكو، مصدر سابق، كما تم نشر الكلمة في (إسلام نيوز- وكالة الأنباء الإسلامية الروسية) موسكو، تاريخ النشر: (٢٩ مارس ٢٠١٧م).

(٢) مستعرب روسي، متخصص في دراسات الحضارة الإسلامية، نائب رئيس مركز كارنيجي- موسكو حتى عام ٢٠١٧م.

هل يمكن القيام بذلك؟ نعم يمكن، بل يجب. لأنه إذا لم نفعل ذلك فإنه سوف يُنظر إلى الإسلام فعلا بصفة الإرهاب. إذن هذا واجب، ونحن نقول دوما أن روسيا دولة متعددة الطوائف والأديان. ولكن حالما يدور الكلام عن الإسلام يبدو أما بشكل دعاية بأنه دين السلام، وهذا ما لا يصدقه الكثيرون، وإما يدور الكلام عن الإرهابيين.

هذه مهمتنا، وهذا واجب وأمر واقعي وأظن أنه من الممكن القيام به، وإلا فسيكون الكلام طوال الحياة ـ بأن السلفية شيءٌ سيئ، وأن الأسلمة شيء سيئ، والوهابية شيء سيئ وغير ذلك.

في عام ١٩٩٦ كتب (يفجيني مكسيموفتش بريماكوف)، حين كان وزيرا للخارجية، ولم يصبح رئيسا للوزراء بعد ـ اعتقد أن ذلك كان في عام ١٩٩٦ .. أن (السلفية) هي شيء اعتيادي أيها الشباب، يجب التعامل معها». وكان صوته آنذاك مثل صرخة في الوادي.

وفيما بعد تبين أن السلفية والإسلام هما الشيء ذاته. لكن كيف تتم مواجهة ذلك ولو قليلا. باعتقادي أن من الواجب أن نتحد ونعمل. فلا بد من البدء في عمل ما. أنا أطالع الكتب حول الإسلام. فأجدها أما كتبا فقهية: (مجددا يرد فيها أن الإسلام دين السلام والحديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأما هي مطبوعات معادية للإسلام تماما. فهل يمكن أن يكتب عنه بصورة طبيعية؟ بل يجب.

والآن بصدد المصطلحات. ربما ستعارضونني أيضًا. فمن فكّر باستحداث مصطلح، (الراديكالي الإسلامي)؟ أن الراديكالي ـ إنسان طيب! وكان جميع

الراديكاليين أناسا أذكياء طبيعيين. اذكروا لي ولو أسما واحد سواء في العلم أو السياسة لم يكن راديكاليا. فهو يريد أن يغير شيئا ما بصورة راديكالية وبناءُ شيء ما جديد بصورة راديكالية. إنهم متطرفون ـ نعم.

بالمناسبة إذا ما تطلعنا إلى البانوراما السياسية في العالم الإسلامي، نجد أن الراديكاليين هناك ليسوا متطرفين. أن المتطرفين يعرقلون الراديكاليين، إنهم مخربون. أما تصورُنا فهو: أن الراديكالي الإسلامي قاطع طريق. وهذا غير جائز، هذا ليس من الصواب.

بل أقول لكم أكثر من ذلك، يوجد حتى راديكاليون معتدلون، لكن اختلطت علينا الأمور كثيرا، على أي حال، نحن أناس أخيار. لكن اختلطت علينا الأمور كلها. وهذا أمر سيء.

أما بصدد المناقشات في أوساط المجتمع الإسلامي الروسي، وليس هناك فقط. أولا، لا أريد الإساءة إلى أحد، لقد جرى الجدل المجنون سابقا (الآن ولّى ذلك الزمن والحمد لله) بين الإسلام التقليدي وغير التقليدي. لكن أيها الزملاء هذا سخف وخزعبلات. هذا سخف. نعم. القول بأن: (إسلامي أنا تقليدي، وإسلامك أنت غير تقليدي» هذا ليس من الصواب في شيء، ما يعني ذلك!!

والقول أن الإسلام يمكن أن يكون بهذه الصورة ـ الوحدة في التعددية. فيقال «كلا، أبدا». لماذا؟ لأن السياسة تتدخل في القضية. فكل ما يعتبر إسلاما غير تقليدي، أرجو المعذرة، المملكة العربية السعودية مثلا، يتم النظر إليه بأنه أمر سيء!! أما ما يوجد لدينا مثلاً في موردوفيا، (وأرجو أن لا أسئ إلى أحد)، فهو شيء جيد. لكن، كيف هذا؟!!

دعونا نتفق بشكل ما. وهذا الجدل الذي تحدث عنه السيد ألبرت المحترم هو الصحيح (كانت له كلمة في سياق الندوة). ويجب أن يكون بهذا الشكل. لكن، وأرجو المعذرة مرة أخرى، هذا يجري في غالب الأحيان في إطار المماحكات. أليس كذلك؟

بالمناسبة أنا لا اتفق مع القول بأن الإسلام يجب أن يكون موحدا تحت قيادة موحدة. حسنا تحت إدارة من؟ هل سيكون الحال كما في الكنيسة الأرثوذكسية؟ وسيكون هناك بطريرك مسلم؟ لقد جرت محاولات لذلك في روسيا على أي حال وليس في روسيا فقط. هذا نوع من تعددية الاتجاهات، بشكل ما. لكن هذا الشيء هو أكثر، أنه شيء ما حي. أتفهمون أي شيء؟

اعتقد أن الكرملين عندنا قد تخلى عن ذلك قبل خمسة أو سبعة أعوام مضت، (يقصد توحيد المرجعية الإسلامية في روسيا). علما بأنه جرت هناك محاولة استحداث لسلطة مرجعية إسلامية عليا. فماذا حدث؟ ماذا؟ لم يتحقق شيء. هكذا. لأن المشاكل هناك كثيرة جدا ويتطلب حلها وقتا طويلا جدا.

وأعود إلى ما بدأت به وهو إصدار كتابين أو ثلاثة كتب موضوعية، دقيقة، وبدون تلك الإيديولوجية، والإرهاب، سيكون ذلك شيئا مناسبا جدا، وإصدارها ليس بخمسمائة نسخة بل بكميات أكثر.

خامساً: الوهابية والسلفية[1]:

الدكتور/ علي أكبر علي أكبروف[2]

بادئ ذي بدء أود الترحيب بضيوفنا السعوديين هنا بموسكو. أن هذا الحوار يتواصل عندنا منذ أكثر من عام. ومن حيث المبدأ يمكن القول حول هذا الموضوع أن المجتمع العلمي قد حدد من حيث المبدأ مسألة المصطلحات بهذا القدر أو ذاك.

ومما يؤسف له أن تفهم هذه الأمور العلمية لا يصل إلى الرأي العام. ونحن عموما نعتبر السلفية كمظلة تضم تحتها شتى التيارات. ونحن نفهم أن هناك عدة مفاهيم حول السلفية في بلادنا، وكذلك في الخارج، وفي العالم الإسلامي. طبعا أنها ليست الصوفية الإسلامية التي لا تعتبر متطرفة عندنا في روسيا. ولكن تطلق عليها تسمية السلفية أيضًا. والمتطرفون يصفون أنفسهم بالسلفيين أيضًا، مما يجعل المسألة معقدة.

والآن يجري عندنا تقارب. وتجري عندنا بين فترة وأخرى عملية التقارب ولكننا، ويالأسف، لا نستطيع بلوغها وإرسائها على أساس ثابت. ولهذا توجد عندنا هذه المشكلة المرتبطة بالنقاشات الجادة الدائرة في داخل البلاد الآن،

---

(١) كلمة البروفيسور/ علي أكبر أكبروف - ضمن فعاليات الندوة العلمية: (الوهابية والسلفية: الحقائق والادعاءات)، موسكو، مصدر سابق، كما تم نشر الكلمة في (إسلام نيوز- وكالة الأنباء الإسلامية الروسية) موسكو، تاريخ النشر: (٢٩ مارس ٢٠١٧م).

(٢) نائب مدير معهد الاستشراق، التابع لأكاديمية العلوم الروسية.

النقاشات الإسلامية. وقد ظهرت لأول مرة عندنا نقاشات إسلامية تجاوزت حدود روسيا.

وهذا من جانب شيء طيب - فهو دليل على ظهور الفكر الإسلامي عموما في روسيا. لأنه حين يظهر الفكر، فهو يعني دوما الجدل. والفكر لا يمكن أن يوجد في فضاء فارغ بلا نقاشات، وهذا وضع طبيعي.

إذا ما طرقنا درب انبعاث المدرسة الفقهية الإسلامية في روسيا، فإن هذه النقاشات حتى، أن جاز القول، ستتم ويجب أن تتم عموما في المستقبل، وربما حتى تحتدم بشكل ما. هذا وضع طبيعي. ويجب ألا نخشى ذلك.

لكن الأمر الواقع هو أن الإسلام عندنا مختلف الأوجه. والمهمة في روسيا والأمة، كما في العالم الإسلامي هو توحيد هذا الإسلام. أن هذه المهمة تعتبر فعلا مهمة على نطاق الدولة ضمنا. وهذا يمس المجتمع أيضًا.

والشيء الثاني، لدينا عدو مشترك - وهذا العدو هو التطرف. وكان على صواب من قال أن التطرف هو الغلو في أية إيديولوجية. وعندما يتم تلقي هذه الايدولوجيا، تتحد الكلمة مع الفعل، وتظهر للأسف مشاكل أكثر خطورة، التي تكتسب صيغة أخرى سياسية.

لذا يجب علينا أن نقول عدة كلمات .

أولاً، فيما يخص السلفية، إذا ما تحدثنا عن المصطلحات. طبعا يجب الذود عن الأفكار الأولية والأصلية للمصطلحات الإسلامية عموما. وهذا يخص ليس السلفية فقط بل ويخص الجهاد أيضًا. ويخص هذا كذلك مفهوم الشهداء والشهادة.

أي الجهاز المفاهيمي الذي يستغله المتطرفون الآن، وهو ينتشل من صلب الموضوع، ويستغل من قبلهم شيء واحد، علما بأنه ليس من أصل الأصول. ونحن نعرف أن الجهاد يتضمن معنى سياسيا وعسكريا. لكن، وأرجو المعذرة، أين ذهب المعنى الروحاني؟ لماذا جرى نسيانه تماما؟

لهذا يجب الرجوع إلى الأصول. وفيما يخص روسيا يجب العودة بالذات إلى تلك المفاهيم التي تعتبر الأصل والمحددة في الأراضي الروسية. ففي الأراضي الروسية يتسم الجهاد بمغزى معين - فهو بالرغم من كل شيء الكمال الروحي الذاتي. أنه يعني نبذ كل ما هو حيواني واعتداد بالذات، أي تربية فكرة التوحيد الربوبية. على أي حال أنه ضد البوهيمية. وهذا هو الشيء الأساسي.

ونحن سنعود، سواء أردنا أم لم نرد، إلى الفتوى الصادرة في جروزني التي كشفت جميع هذه المشاكل وهذه الخلافات. طبعا أن هذا شيء معقد، نعم هذا موجود حتى في الفضاء السياسي بروسيا. ويعتقد الكثيرون بأنه لا توجد لدينا أيديولوجية موحدة. هناك اتجاهات حركة مختلفة، وبضمن ذلك في السياسة الإسلامية. فالبعض يدافعون عن قوى ما، والبعض يدافع عن قوى أخرى. لكن هذا انطباع سطحي أن جاز القول.

أما في واقع الحال فإن الدولة حددت الهدف الأساسي.

والدولة، أولا، تدعم الإسلام وتدعم الدين، وتدعم انبعاث الدين أن جاز القول. هذا موقف الدولة الروسية.

وثانياً، أن موقف روسيا، هو أحد النتائج الايجابية للمناقشات التي جرت في بلادنا منذ فترة وجيزة، ويتلخص في أن روسيا صارت تحدد، أن جاز القول،

حدودها ذاتها. وهذا شيء طبيعي. ويجب ألا نخشى ذلك، لأنه توجد خصوصية للبلاد.

وإذا ما تحدثنا عن الوهابية فالقول بأنه لا توجد وهابية عموما، يعتبر غير صائب أيضًا. لأن العلماء المختصين بالدراسات الإسلامية يقولون أن انبعاث الإسلام في فترة القرون ١٧- ١٩ يرتبط بحركتي تجديد قويتين هما: الحركة الوهابية وحركة التجديد الصوفية. أنهما رفعتا شأن الإسلام وبثتا روحا جديدا، أن جاز القول، جعلتاه أكثر حيوية. وهذا شيء طبيعي، فهذا يحدث دائما. هذا شيء طبيعي.

من جانب آخر نحن لا يمكن أن نسمي هذا بالسلفية وتقييد هذا المعنى، لأن كتاب الأنساب، مثلا، لصاحبه أبو سعد السماني الذي عاش في القرن الحادي عشر يبرز السلفية باعتبارها مدرسة منفصلة. وقد وجدت هذه المدرسة. أي أن هذا طبيعي فهي أحد المذاهب أن جاز القول.

إذا ما انطلقنا حتى لدى أخذ أحد الأعمال الصوفية، لفترة القرون الوسطى، فسنرى حتما أن الجزء الأول ـ التوحيد، والجزء الثاني هو أحكام السلف الصالح. أي قانون اعتقاد السلف. لأنه يجب أن تعرف الجذور، بغية مواصلة السير قدما إلى الإمام. وبعده يتم البناء على هذه القاعدة، بناء شتى النظريات المختلفة.

طبعا، هذا جانب واحد من المسألة. أما الجانب الآخر فهو لا يجوز التظاهر بأنه لا توجد مشاكل. أن المشاكل موجودة مع الأسف. أن إحدى المشاكل الهامة ـ هي مشكلة العقيدة والموقف من الإيمان والكفر. أن المملكة العربية

السعودية بلاد إسلامية. وهناك تطبق الشريعة، بينما يوجد عندنا القانون المدني- لأن دولتنا علمانية.

توجد مشاكل حقيقية في فهم الأمور والموقف من مشكلة الكفر. وتنطلق الدولة الروسية من المساواة بين جميع الأديان وغير الأديان. أي لدينا مساواة في الحقوق. طبعا يوجد في المملكة العربية السعودية التسامح، ونحن نتفهم كل شيء، نحن مائدة مستديرة، والمناقشة مفتوحة. يوجد التسامح.

حتى في هذه الظروف. فمثلا يعتقد المسلمون في روسيا، حقا ليس جميعهم (فتوجد لدينا أيضًا وجهات نظر مختلفة) أن الرب فقط يمكن أن يقرر مصير البشر. ويفهمون أنه لا يمكن أن يتهم الشخص شخصا آخر بالكفر. لأن الله قال ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾. أي أن الله يقرر كل شيء. لربما أنها إرادته، أي إرادة الرب، أن جاز القول. أنها رغبته هو. ولا يمكننا إصدار الحكم على أفعاله. فهو الذي يقرر.

لذا سيكون الأمر أيسر في هذا الجانب إذا ما كنا متسامحين وننشر التسامح. وأود القول أن روسيا من هذه الناحية أقرب إلى المملكة العربية السعودية، فنحن لسنا على نمط الديمقراطية الغربية، حيث يوجد الإلحاد المتشدد. أن الإلحاد المتشدد محظور في روسيا حيث يوجد نص قانوني، وملاحقة قضائية بهذا الشأن، إذا ما جرت الإساءة إلى المشاعر الدينية، ووجهت إليها الإهانة، فتعتبر ذلك جريمة جنائية من هذه الناحية يمكن لدينا قاسم مشترك، وقاعدة مشتركة ما.

وأريد أن أقول أيضًا بهذا الصدد أيضًا . يقول البعض: ما العمل؟

اعتقد بأنه توجد هنا تناقضات سياسية طبعا. لكننا نتعامل بقدر ضئيل مع المملكة العربية السعودية. والعلماء المسلمون لا يتعاونون كثيرا. أما التعامل الموجود أي التعامل المباشر فلم يعط نتائج ايجابية دائما. بينما أن الشيء الرئيسي هو الحصول على نتائج ايجابية بناءة .

ويتم التعامل مع الهيئات الدينية مباشرة وليس عبر مجتمع العلماء الأكثر حيادية من هذه الناحية. وأورد على سبيل المثال بأنه تعقد عندنا في المعهد ندوة دائمة للدراسات الإسلامية. ويشارك فيها الجميع، من مختلف الاتجاهات. يشارك فيها الأتراك والإيرانيون باستمرار. لكنني لم أر السعوديين - أنهم يعتبرون مشاركتهم فيها غير ضرورية لهم.

كما توجد على سبيل المال سلسلة كتب علمية مشتركة مع صندوق دعم الثقافة الإسلامية، وهو إيراني، وهو عبارة عن ممثلية ثقافية. هناك تصدر سلسلة علمية من الكتب المشتركة.

فما نفعل؟ نحن لا نسمح إلى الجانب الإيراني بنشر الكتب الشيعية، وموادهم فقط. وإذا وجد موضوع يحظى بمثل هذا الاهتمام نحن نضيف إليها أعمال مؤلفينا الروس ونصدر الكتاب بصورة مشتركة. بغية أن يقارن القارئ الروسي بين هذا الجانب وذاك في إطار عمل واحد. وأشير مثلاً إلى أنه يوجد قيد الإصدار في سلسلة "إسلاميكا" و"الاستشراق" كتاب سيد علي موجاني " مذكرات نجد". ويتضمن كتابات السياسيين العثمانيين في زمن محمد بن عبدالوهاب. ويترجم هذا الكتاب الآن وسيصدر لاحقا. ويتضمن الكتاب شروح ما كتبه السياسيون العثمانيـون في زمن محمد بن عبدالوهاب.

سادساً: الإسلام الوهابي والسلطة[1]

أولغا باليبا:

لقد كانت الوهابية كاتجاه ديني وكتيار سياسي، شيئاً بعيدا بالنسبة لنا حتى الآونة الأخيرة لا يهتم به إلا الإخصائيين. أن تحول الإسلام إلى عامل فكري وسياسي مؤثر في العلاقات الدولية، يحتم أخذه بنظر الاعتبار في علاقات روسيا مع عدد من الجمهوريات السوفيتية السابقة، وهذا التحول أثار من جديد اهتماماً واسعاً بهذا الدين وبوطن الإسلامي (المملكة العربية السعودية)، وليس مبعث قولنا (وطن الإسلام) مجرد وجود المدينتين ـ المقدسين بالنسبة لكل مسلم ـ وهما مكة والمدينة، بل كذلك إلى نجاح سياسة الإسلام في المجتمع السعودي التي تتيح الجمع بين ما هو تقليدي وما هو حديث دون إنكار الماضي، أو التحولات الاجتماعية. ومن أجل فهم أكمل لهذه الظاهرة ينبغي الرجوع إلى تاريخ نشأة المملكة العربية السعودية وإلى الإسلام الوهابي[2] الذي أرسى أساساً دستوريا للدولة التي تمكنت من الصمود في وجه الزمن.

أن مؤسس المملكة العربية السعودية المعاصرة هو (عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود) أحد أبرز الشخصيات السياسية في مطلع القرن العشرين، ويعرف أكثر باسم (ابن سعود) إلا أن تاريخ دولة آل

---

(١) دراسة علمية صدرت في مجلة (أسيا وأفريقيا اليوم) التي تصدر عن مركز دراسات أسيا وأفريقيا، وذلك في العدد ١١/١٩٩٢م.

(٢) هذه إضافات ليست في أصل المادة، نظراً لكون الكاتبة غير مسلمة.

سعود أكثر قدماً، ويعود بجذوره إلى القرن الثامن عشر.

لقد كانت الحالة السياسية والروحية للجزيرة الوسطى غامضة وغير مستقرة في ذلك الحين. وبسبب شح الموارد الطبيعية وصعوبة الوصول إليها كانت المنطقة لا تمثل أية مطمع بالنسبة للإمبراطورية العثمانية ولا بالنسبة لأشراف الحجاز التابعة لها (وهي المقاطعة التي تقع بها مكة والمدينة، ناهيك عن أئمة اليمن أو سلاطين مسقط)، وبعد الفتوحات الإسلامية العظيمة التي تلت عهد النبي محمد (ﷺ) وتحول الإسلام إلى دين عالمي تُركت محافظات الجزيرة الوسطى وشأنها في الواقع بحكم وضعها الجغرافي، وفي الجزيرة الوسطى نفسها قام توازن متقلب يتغير باستمرار وفقا لظروف عديدة ما بين السكان الرحل وشبه الرحل والحضر. وكانت قبائل الرّحل تمثل القوة الأساسية عسكريا وبالتالي سياسياً. وجميع البدو من أبناء القبيلة الواحدة المتحدون في منظمة عسكرية واحدة للقبيلة ـ المشاعية لم يكونوا رعاة رحلا فحسب، بل كانوا مقاتلين.

وكانت قبائل الرحل المعتمدين على القوة تفرض سيطرتها على السكان الحضر والمراكز المدنية. ونشأت إمارات صغيرة بحكّامها وهكذا كانت سلالة آل سعود ذات الأصل البدوي تحكم مدينة الدرعية الصغيرة الواقعة في نجد ـ إحدى مقاطعات الجزيرة الوسطى ـ منذ القرن الخامس عشر.

وكان موقع قوة هذه القبيلة أو تلك يتغيران باستمرار، ولذلك لم تكن سلطة الأمراء مستقرة. كما أن مثل هذه الكيانات السياسية كانت مرتبطة بقبيلة ومنطقة معينة ولذلك لم يكن بوسعها إدعاء العمومية وضم المراكز الأخرى للسلطة وإنشاء دولة موحدة قوية لهذه الدرجة أو تلك.

وكان التخاصم العسكري السياسي المستمر بين القبائل يؤثر تأثيرا سلبيا للغاية على رفاهيتها ويلحق أضراراً جمة بالحرف والتجارة وتربية الماشية.

ولهذا كان من المطلوب تطبيع الحياة الاقتصادية للمجتمع والتخلص من التأثير المهلك للحروب و غارات النهب والابتزاز التعسفي للثروات. و كان السكان الرّحل والحضر سواء يعانون من كل ذلك. وكان الضرر الخاص يلحق بالتجارة. كما كان الوضع السياسي يفرض ضرورة نشوء بنية فوق قبلية تتيح كبح التناقضات المتعددة بين القبائل وإدخال عناصر الاستقرار.

وكانت ظروف الحياة الروحية لا تقل أهمية. أن إسلام الإمبراطورية العثمانية التي ذهبت بعيداً في تطورها عن إخوانها في الدين بالجزيرة العربية، لم يكن قريباً ومفهوماً للناس الذين واصلوا العيش ضمن نظام القبيلة – المناطقية. وكان من المحتم ظهور علماء محليين متعددين وخطباء ودعاة مختلفين، وغيرهم من الذين أدخلوا العادات القبلية للجزيرة ما قبل الإسلام، الأمر الذي جاء انعكاسا لعدم الاستقرار الروحي للمجتمع وبحثه عن طرق جديدة. وكتب (ابن غنام) ودوّن تاريخ الجزيرة العربية بقوله: "لقد انغمس معظم الناس بالرذائل في تلك الأزمنة، و صاروا يستسلمون لعبادة الأولياء والأتقياء وتركوا التوحيد. وكان الناس يأتون إلى الأولياء أو إلى قبورهم ويطالبون بعمل شيء ما طيب أو تخليصهم من معيبة، وكانوا يراجعون الأحياء والأموات بمثل هذه النداءات... وكان الشيطان يلعب بعقولهم، وأسفر ذلك عن بعض التمردات، وفاقوا في كفرهم سكان الجاهلية".

ووصل المجتمع في تطوره إلى مستوى يقضي بانسحاب النظام المعقد للصلات المناطقية ـ القبلية التي تحمل شكل صلات قربى الدم، ليحل محله نظام جديد أبسط لكنه يتصف بالطابع العمومي.

ما هي القيم الحقيقية؟ في تلك الظروف نشأ مذهب جديد أصبح محمد بن عبدالوهاب يدعو له. وصار مفهوم التوحيد العمود الفقري للمذهب، وكان يقر بأن الله هو المصدر الوحيد للخلق، ويشجب ويرفض العبادات القبلية للأولياء والعقائد المحلية، ويربط بين عقيدة التوحيد وفكرة الجماعة الموحدة للمؤمنين به. كان ذلك عودة إلى (الأمة) أي الجماعة الأولية للمسلمين المتحدين حول النبي محمد (ﷺ). وسبق أن ذكرنا أن إسلام المجتمع الإقطاعي المتطور ابتعد كثيراً عن دين مثل هذه الجماعة. ولم يكن ثمة في هذا الواقع بحد ذاته شيء ما يشابه. لأنه يوجد في الدين الإسلامي مفهوم "البدع" التي تدخل على منظمة أفكار القرآن والسنة النبوية من خلال قرار متفق عليه للفقهاء (إجماع) أو من خلال (القياس).

لكن البدع بالذات هي التي أصبحت، في نظر الوهابيين، مصدراً للشر ليس في الجزيرة العربية وحدها، بل وفي الجزء المتبقي للعالم الإسلامي حيث تفشى عدم المساواة بين المؤمنين وحيث لم يعدّ الترف وإدمان الخمور والمخدرات والرذائل الأخرى من العيوب. ولم يكن من الممكن العثور على مخرج إلا على طريق التطهير والعودة إلى قيم فجر الإسلام.

وكانت أهمية خاصة تكتسب فكرة (وحدة أعضاء الأمة الإسلامية ومساواتها) وضرورة الجهاد. فقد كان بوسع مثل ذلك الدين بالذات، المجدد،

المطهر، من الترسبات المتأخرة. أن يوحد القبائل والمناطق المتفرقة للجزيرة الوسطى تحت راية واحدة. هذا ما اعتقد به اتباع معلِّم الدين محمد بن عبدالوهاب، وهم بهذا كرروا الطريق البطولي للمسلمين الأوائل من صحابة النبي محمد (ﷺ).

ولد محمد بن عبدالوهاب في أسرة قاضي إسلامي من (آل الشيخ) عام ١٧٠٣ أو ١٧٠٤، وتلقى تعليما دينيا، وقام بجولات متعددة، وكانت دعواته المتحمسة لتطهير الإسلام تفوق بادئ الأمر في قوة أصوات العديد من فقهاء الجزيرة الذين يتقدمون بهذا أو ذاك من المذاهب الفكرية، إلا أن خطابات ابن عبدالوهاب سرعان ما جذبت اهتمام حاكم مدينته الأم "العيينة" الذي ارتأى في المذهب الجديد فائدة لا شك فيها بالنسبة له لأن المعلم الديني كان يربط بين الدين والسلطة أشد الربط: فلم يحق للقبائل الدخول في قوام الدولة بدون اعتناق الوهابية أيضًا. إلا أن جملة من الظروف منعت الأمير من التسلح بالمذهب الجديد بل ودفعته لإبعاد الداعية من مدينته.

وفي عام ١٧٤٤ أو ١٧٤٥ انتقل ابن عبدالوهاب إلى مدينة أخرى بنجد هي "الدرعية" التي يحكمها الأمير محمد بن سعود من سلالة آل سعود، وحزر الأمير الطموح والمتبصر للمستقبل المبهر للمذهب، وأقدم على عقد تحالف سياسي-ديني مع الشيخ ولعله من الصعب أن نجد في التاريخ مثالا لتحالف تنفذ شروطه بمواظبة من قبل أجيال عديدة خلاف الرجلين اللذين عقداه. وهذا التحالف بالذات يدشن الفصل الأول من تاريخ المملكة العربية السعودية، وقد حدد هو بالذات الكثير من السمات المميزة لتطورها، ويمكن اعتباره هو بالذات عمودا

دستوريا لهذه الدولة وهذا بعد القرآن والسنة النبوية طبعاً.

وبالتالي لم يصبح محمد بن سعود واحداً من أمراء نجد فحسب بل أصبح زعيماً يحمل أفكار الدين المجدد لعامة الغارقين في الرذائل، وأضيفت قوة الروح إلى القوة العسكرية، وأقيمت دولة واسعة عن طريق مسيرات عسكرية متعددة.

وكان مجتمع الجزيرة في القرن الثامن عشر- شأنه في القرن السابع أي في عهد النبي محمد (ﷺ) مبنياً وفق المبدأ القبلي، أي أن القبيلة كانت عبارة عن الرابطة الرئيسية للناس التي تقوم حياتها الاقتصادية على الاقتصاد العائلي المستقل والتي توجد بها بنيه سلطوية تضمن تنظيم الحياة الاجتماعية وحماية الأفراد من الأخطار الخارجية. وتحمل الدولة في مذل هذا المتجمع صفات للقبلية أيضًا. وتُفَهم بأنها مجموعة من أفرادها الجماعيين.

وكانت الدولة الوهابية الجديدة التي تتبع الفكرة الأصيلة للأمة الإسلامية، تبنى على أساس كونها "مشاعية كبرى" للمؤمنين الذين يوحدهم هدف واحد هو خدمة الله والذين يكونون متساوين فيما بينهم ويخضعون لرئيس واحد. وصار المبدأ المشاعي يستخدم على نطاق أوسع وأصبح عمومياً. وتحولت الدولة إلى "مشاعية المشاعيات" أو- بالصيغة العربية- "قبيلة القبائل"، مما وجد انعكاسه في ألقاب آل سعود الذين كانوا يطلقون على أنفسهم "شيخ المشايخ".

وكانت جميع القبائل تدخل في الاتجاه الجديد سواء عن طريق تأثير العلماء أو بقوة الحكام من جانب السلطات، وأصبحت بالتالي أفرادا في مشاعية دينية أوسع، اعتمد الأمير رئيسا لها، **ومن هنا جاء لقبه الجديد: الإمام.**

وكانت السلطة في الدولة الوهابية السعودية توزع بين فئتين مسموعتي الكلمة هما: العلماء من حفظه الشريعة الإسلامية، والحكام من أصحاب السلطة السياسية الضرورية لأجل تطبيق أصول هذه الشريعة. وكان العلماء يصوغون منظومة القواعد والأصول الاجتماعية وفقا للقرآن الكريم والسنة النبوية، أما الحكام فكان من واجبهم دعم هذه المنظومة بقوة سلطتهم. وكان على الرعية من أفراد المشاعية الوهابية الخضوع للسلطتين الدينية والسياسية. وكان هرم الحكام من المشايخ المحليين وغيرهم - وكذلك هرم رجال الدين على اختلاف مستوياتهم، يكلل بشخص رئيس سياسي وديني واحد هو الأمير- الإمام.

وتجلت مبادئ التنظيم الذاتي المشاعي لتلك الدولة في كون الملك - الأمير لا يتخذ قرارا إلا بعد التشاور المسبق في وسط الرجال المنفذين وبالاعتماد على موافقتهم، وكذلك بعد استحسان العلماء للقرار، **وهكذا ولدت القاعدة "الذهبية" الشهيرة لاتخاذ السعوديين للقرارات السياسية وهي قاعدة الإجماع والتشاور**. ولا تتخذ أية خطوة هامة مبدئيا إلا بعد المباحثات والمناقشات ووضع رأي مشترك. ويؤدي العلماء وظيفة الحماية، ويضمنون استمرارية الإتباع، وعند الإدلاء بآرائهم في هذه المسائل أو تلك يقومون بالتعبير عن الرأي العام وبتكوينه في نفس الوقت. وهم كذلك يضمنون "الصلة العكسية" من خلال مراقبتهم على تنفيذ القرار المتخذ.

تحت راية الوهابية وأصبح المذهب الجديد سلاحاً سياسياً جباراً بأيدي آل سعود وكذلك أخلاف المعلم الديني من عائلة آل الشيخ. وفتحت دولة آل

سعود أراضي واسعة في الجزيرة العربية عند أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر خلال سنوات حكم محمد بن سعود وخليفته عبدالعزيز بن سعود، وفي عام ١٨٠٢ استولت هذه القوات على مدينة كربلاء المقدسة لدى الشيعة (جنوب العراق الحالي) وفي العام التالي قامت بأداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة حيث فرضت النظم الخاصة بها. وكتب الأمير سعود للسلطان التركي سليم الثالث قائلاً: "من ابن سعود إلى سليم، دخلت مكة المكرمة في اليوم الرابع من محرم عام ١٢١٨هـ (٢٦ أبريل ١٨٠٣)، وهدمت جميع مواقع عبادة الأصنام. وحظرت جميع الضرائب عدا تلك التي يطالب بها القانون. وأكدت تعيين القاضي الذي بعثته أنت وفقا لتعاليم رسول الله (ﷺ). وأريد منك أن تأمر حكام دمشق والقاهرة عدم الاقتراب من المدينة المقدسة بالمحمل والأبواق والطبول. فالدين لا يحتاج لهذه الأشياء. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته".

لم تكن الفتوحات غارات للنهب، وكان هدفها الرئيسي بناء دولة جديدة. وأكد (ابن غنام) المذكور سابقاً "أن معلم الدين رفع علم الجهاد، ولم يكن قبله سوى العصيان والقتل".

يمكننا بالطبع أن نناقش المسألة التالية: ماذا حدث لو رفع هذا العلم الوهابي في العالم الإسلامي قبل ذلك بعدة قرون؟ لكن في القرن الثامن عشر لم يكن بالإمكان استخدام المبادئ الفكرية والسياسية وغيرها للوهابية إلا في جزيرة العرب، لأن الدول المجاورة لها ذهبت بعيدا جداً في تطورها الاقتصادي والاجتماعي. لكن هذا بالذات هو سبب عدم تمكن القوة العسكرية للمذهب الجديد مواجهة الجيش المصري الأكثر حداثة. وفي عام ١٨١٨ زالت دولة آل

سعود عن الوجود. وفي عام ١٨٤٣ انبعثت من جديد على أساس الدعوة المعتدلة للوهابية في الرياض الواقعة بالقرب من الدرعية المدمرة، لكن الإمارة أضاعت استقلالها مجددا نتيجة التنازع الداخلي عام ١٨٦٥.

وحاول (عبدالرحمن) أحد ممثلي سلالة آل سعود استعادة الرياض عدة مرات في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان يقيم بالكويت في المنفى، لكن ذلك لم يتسنَّ إلا لابنه المذكور آنفا هو عبدالعزيز بن سعود الذي تمكن من استعادة الرياض مع نفر من الشجعان عام ١٩٠١.

وأبدى ابن سعود نفسه منذ البداية شخصية حكومية وقائدا عسكريا بارزا. وكان يتصف بقوة الإرادة التي لا تلين وسعة الآراء، والأهم من ذلك أنه تمكن من مواصلة سياسة آل سعود وبناء الدولة القائمة على المبادئ الإسلامية في الظروف الجديدة.

لقد أقرت الأصول الدينية الصارمة في جميع الأراضي الخاضعة لابن سعود منذ البداية وتبني والده لقب الإمام بموافقة من علماء الرياض، وأصبح رئيسا شكليا لجماعة المؤمنين.

وأدت المسيرات العسكرية المتكررة التي خاضها ابن سعود إلى وقوع قبائل بدوية ومشاعات زراعية عديدة تحت سلطة الأمير الشاب. ونشأت مشكلة توحيدها في إطار دولة مشاعية واحدة. ووضع ابن سعود بالتعاون مع المرشد الديني (عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالوهاب). وهو من ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب، برنامجا لتحويل البدو إلى الحياة المستقرة. ونصت الخطة على إقامة

مستوطنات زراعية للبدو على أساس غير قبلي، وكان على سكان تلك المستوطنات أن يكرسوا أنفسهم بالكامل لخدمة الإسلام.

وكانت هذه الفكرة للإخوة الدينية الشاملة التي تحل محل الصلات القبلية العشائرية هي فكرة الدولة الجديدة مشاعية المشاعات.

واتجه دعاة متطوعون إلى القبائل من أجل الدعاية لهذه السياسة وفي عام ١٩١٢ تم تأسيس أول مستوطنة زراعية "الأرطاوية" بأمر شخصي من الأمير، لم يكن كل شيء يجري في هدوء طبعاً، فالبدو اقسموا دوما بالتحامل على العمل الزراعي، ولهذا تطلب الأمر صدور فتوى خاصة من العلماء القياديين وتوجيه رسائل متعددة منهم إلى القبائل وكذلك بعض العنف من قبل الدولة من أجل إقامة عدة مستوطنات (هجر) وكان على سكان الهجر أن يطلقوا على بعضهم "الإخوان" ليؤكدوا بذلك اتحادهم على أساس غير قبلي، وإلى جانب الزراعة أصبحت الخدمة العسكرية والفقه الشرعي من الأشغال الأساسية للإخوان، وأتاح ذلك إقامة جيش جبار وفياً لابن سعود بصفته إماماً، وقد ضمن هذا الجيش نجاح الفتوحات اللاحقة، وكان ابن سعود وهو يزرع التدين وسط القبائل المفتوحة يعتمد على القمة الدينية عامة من العلماء والفقهاء الذين لم يشاركوا في عملية اتخاذ القرارات فحسب بل كذلك في تنفيذها، وكانوا يصدرون فتاوى خاصة بصدد جميع المسائل المبدئية للدولة، وكان تطبيقها إلى حد كبير وقفا على جهود الدعاة المتطوعين الذين كانوا يوجهون إلى جميع القبائل والهجر. الأمر الذي أتاح للعلماء إمكانية السيطرة على قوة عسكرية كبيرة مخلصة للأهداف الدينية كل إخلاص.

ولم يكن بوسع نجاحات ابن سعود إلا أن تثير قلقا لدى مشايخ العديد من القبائل، إذ أصبح خطر فقدانهم لنفوذهم واقعيا، كما كان هناك عدد غير قليل من المستائين من تنامي مقدرة الأمير وسط العلماء، وكانت الاضطرابات والحروب الداخلية تنشب هنا وهناك من حين إلى آخر، وكان الأمير يقمعها بوسائل عسكرية وسياسية على حد سواء، وقد أصدر ابن سعود مرسوما أكده العلماء الأوفياء له بفتوى تشير إلى جميع القبائل الخاضعة بالانضمام إلى الأخوان ودفع الزكاة وهي نوع من الضريبة التي تنص عليها الشريعة الإسلامية، وكان على مشايخ تلك القبائل أن يحضروا إلى الرياض بانتظام ويستمعوا في المسجد الكبير إلى التوصيات والإرشادات الدينية، وهذا ما أرضي العلماء مرة أخرى، فقد تسلموا أذرعاً قوية للتأثير على مشايخ القبائل.

أما مبعوثو العلماء - المتطوعون - فلم يراقبوا تنفيذ الإرشادات الدينية فحسب، بل وتتبعوا دفع الزكاة وأشرفوا على عمليات التجنيد وبدأ عملية واسعة النطاق لمزاحمة الرتم العادي من مجال الحياة الاجتماعية وإحلال الشريعة الإسلامية محله، وأتاح كل ذلك للعلماء تعزيز نفوذهم أكثر من السابق.

وكان توطيد الفرع الديني للسلطة يعقب ترسيخ مواقع الأمير نفسه. وفقد الحكام والمشايخ المحليون استقلالهم شيئاً فشيئاً ليتحولوا إلى عنصر آخر من عناصر بنية سلطة الدول، فقد أصبحوا نوعاً من حلقة الوصل بين رئيس الدولة والقبائل وأعلن ابن سعود نفسه شيخا للبدو (وتبين بفضل الدراسات السلالية أن آل سعود يعود إلى فرع من قبيلة "عنزة") ثم تبني الأمير لقب "شيخ المشايخ"،

و مع أن وجهاء القبائل ظلوا ينتخبون الحكام المحليين إلا أن انتخابهم أصبح بحاجة إلى استحسان ابن سعود.

وكانت الدولة تتنامى وتخضع لنفسها مزيدا من الأراضي باستمرار، و كان فتح الحجاز بمقدساته يتسم بالقدر الأكبر من الأهمية، وفي ٥ كانون الأول ١٩٢٤ دخل ابن سعود مكة المكرمة، ونشر بيانا يعكس أهدافه الدينية أيضًا، وقال البيان: "سيكون الأساس القانوني في الحجاز هو القرآن الكريم و ما أقره علماء الإسلام ونخبر كل من فقهاء هذه الأرض أو أولئك الذين اشتغلوا بخدمة المقدسات بأنهم سوف يبقون هنا كما في السابق". وبعد أن تمكن علماء نجد من بسط سيطرتهم على الأماكن المقدسة، اضطروا للتهاون مع انضمام علماء الحجاز لعدادهم، وهم أكثر براجماتية وانفتاحا أمام العالم الخارجي (وما زالت فروق معينة قائمة بين هاتين المجموعتين من العلماء حتى اليوم).

و مع فتح الحجاز ونشوء الظروف الجديدة اضطر ابن سعود للاشتغال بتنظيم الدولة داخليا، وبدأ بعمل كل شيء من أجل حماية الأماكن المقدسة من الذهب والتعصب الديني للإخوان. وفي عام ١٩٢٦ تم تأسيس (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تحت قيادة العلماء برئاسة عائلة آل الشيخ، و بدأ تعمل بمثابة هيئة دينية مدعوة لقطع دابر الخداع والاحتيال و عدم دفع الزكاة وإهمال الصوم وفرض قواعد الحج ومحاربة إدمان الكحوليات و ما إلى ذلك، وبهذا كان إدخال المبادئ الدينية يوضع تحت رقابة قانونية، وكان على الإخوان إبلاغ الهيئة بحالات فرض القانون وليس القيام بالاقتصاص العرفي.

تحدي الزمن قبل فتح الحجاز كانت السياسة العملية لابن سعود عبارة عن تطوير وتحديث النظرية السياسية أي أنها كانت تقليدية من حيث جوهرها، أما ضم الحجاز - وهي محافظة أكثر تطورا وانفتاحاً أمام العالم - فتطلب من الوهابية تكيفا فكريا وسياسيا مع وقائع القرن العشرين وطرح قضية تحديث المجتمع التقليدي.

وظهرت نظرية "الوهابية المثقفة" كرد على تحدي الزمن، ونصت النظرية على أن جميع المستجدات مقبولة وأن لم تكن منصوصا عليها في القرآن، بشرط ألا تناقض روح الإسلام، وبهذا لم يسمح باستعمال الوسائل التقنية المعاصرة فحسب بل والأشكال الحديثة لاستخدامها، و "التكنولوجية" الجديدة لإدارة الدولة.

إلا أن الجديد لم يكن يقبل أساساً، على سبيل المثال استحسن العلماء استخدام السيارة لسبب واحد هو أنها تساعد على حل المهمة الحميدة لنقل الحجاج، وكانت الإذاعة تلعن وتحرم قبل أن تبدأ بث السور القرآنية ... إلخ، وإلى جانب المستجدات التقنية اضطر ابن سعود لتبني نظام جديد لإدارة الدولة يضم حكومة مركزية ووزارات ومؤسسات.

وتم بهذا خطو الخطوة الأولى على طريق الجمع بين الهياكل التقليدية والحديثة للسلطة بواسطة إجراء إصلاحات تدريجية، وما زال السعوديون حتى اليوم يفرقون على مستوى الوعي الاجتماعي بين شيئين كأنهما عنصرين للسلطة: وهما "الدولة" أي الحكومة المركزية المبنية على تكنولوجية الإدارة الحديثة، و"الحكومة" أي السلطة التقليدية التي تستخدم مبدأ الإجماع والشورى

وتجسد الصلة التي لا تتجزأ بين ما هو علماني وما هو ديني.

ولا يجوز القول بأن عملية توحيد هذه المكونات مختلفة المستويات في إطار نظام واحد كانت خالية من النزاعات، إلا أن السياسة الإصلاحية المتزنة التدريجية للقادة السعوديين وكذلك ثروة البلاد - وهذا أمرمهم - التي أتاحت الفرصة لتحديث كافة مجالات الحياة اليومية، فحققتا نجاح تلك العملية، وكان العلماء الممثلون للفرع الديني للسلطة التقليدية يؤدون وظيفة الحماية ويدعمون الاستقرار المطلوب للنظام، ولم تتخذ السلطة المركزية إلا تلك الخطوات الإصلاحية التي كان المجتمع مستعداً لقبولها.

ومع ذلك كان الحفاظ على التوازن يتطلب جهداً ولم يكن يتحقق في جميع الأحيان، وفي عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٣ حدثت انتفاضة للإخوان المستائين ضمن السياسة التحديثية لابن سعود التي أدت إلى ابتعاد القوى التقليدية الاضطراري عن السياسة الكبرى، وسحقت الانتفاضة لأنها لم تكتسب طابعا شاملا، وشغل معظم العلماء موقف انتظار إذ لم يشاطروا المطالب المتطرفة للإخوان، أما علماء الرياض فأصدروا في شباط ١٩٢٩ فتوى تحتوي على مطالب أكثر اعتدالا من إدعاءات الإخوان وتعبر عن ولائهم للإمام، وتمكن العلماء وأنصارهم من المحافظة على مكانتهم ضمن المؤسسات السياسية التقليدية، الأمر الذي كان بين الأمور الأخرى ضمانة للاستقرار وموا صلة الإصلاحات (وكان ابن سعود يؤكد احترامه لرأي العلماء، وكان يجري اجتماعات يومية معهم، وكان العلماء يستخدمونها أحيانا لإظهار قوتهم، على سبيل المثال، لم يوافقوا على إجراء احتفال بمناسبة الذكرى الخمسية لتولي الملك العرش انطلاق

من غياب مثل هذا العيد في الإسلام، ولم يكن بوسع ابن سعود عدم قبول هذه الحجة، وفي الوقت نفسه كان الملك يسخر من بعض مطالبهم أحيانًا، ذات مرة رأى أحد العلماء الملك مرتديا ثوبا طويلا يلامس الأرض فهتف قائلاً: "الله الله! لقد تملكتك الكبرياء يا عبدالعزيز، أن ثوبك يرفل بالأرض". وطلب الملك مقصا من خادمة ومده للعالم قائلاً: قص ما يناقض الإسلام في رأيك".

وكانت الإصلاحات لا تؤدي إلى مجرد تعايش بين التقليدي والحديث، بل وإلى الترابط والتكامل بينهما وبعد عام ١٩٣٠ تم توحيد الإخوان في إطار "إدارة المجاهدين" (الحرس الوطني حالياً) الذي أصبح قوة عسكرية إضافية لكنه لا ينضم لقوام الجيش النظامي ويعرف بإخلاصه المطلق للملك، وبالتالي تم إدخال المؤسسة التقليدية ضمن نظام السلطة الجديدة.

وقد أثرت العملية الطبيعية لتبدل الأجيال ومجيء أناس أكثر تعلما وانفتاحا أمام الجديد إلى صفوف رجال الدين، أثرت على آراء العلماء بعد الحرب العالمية الثانية، وتميزوا بمرونة وبراجماتيكية أكبر، لقد شغل "العلماء الجدد" مكانتهم المميزة ضمن نظام السلطة، واضطروا بالمقابل للتعاون مع سياسة التحديث المعتدلة للملك وخاصة في المسائل التنظيمية والتقنية والتكنولوجية.

ولم يكن العلماء يؤدون أهم الأدوار بعد وفاة ابن سعود عام ١٩٥٣م، في مجرى الصراع من أجل السلطة الذي دار بين أبنائه، لدى تسوية العديد من الأزمات والنزاعات، لكن لم يكن من الممكن الاستغناء عن مشاركتهم عن حل مسألة توارث الملك (الأعوام ١٩٥٣و١٩٦٤و١٩٧٥و ١٩٨٢) أو مهام الحفاظ على استقرار النظام، وفي عامي ١٩٥٨ و١٩٦٢ عند إقرار الأمير فيصل

في منصب رئيس الوزراء.

أصدر العلماء فتوى، اثنتين خاصتين كأنها تقومان باستخلاص نتيجة الصراع السياسي وتوحدان كل المجتمع من جديد على أساس الإجماع الذي تم استرداده، كما صدرت الفتوى عام ١٩٦٤، خلال اللحظة الحرجة لتخلي (سعود) عن العرش، وكانت الفتاوى في جميع الأحيان تتبع القرارات التي تتخذها دائرة ضيقة من رجال السياسة الأكثر نفوذاً.

اتخاذ البناء بالطرق السعودية اكتسبت التغييرات التحديثية الكمية طابعا نوعيا أثناء فترة حكم الملك فيصل (الأعوام ١٩٦٤ـ ١٩٧٥)، وأمّنت الثروة النفطية الإمكانية ذاتها لإجراء تحويلات اجتماعية وثقافية من حيث شكلها، لكنها سريعة للغاية من الناحية الزمنية، وكان الملك شخصيا يؤمن بالتحولات الارتقائية بدون الاهتزازات الثورية متبعا القاعدة الذهبية لأجداده هي قاعدة الشورى والإجماع، وكان فيصل يسعى على الدوام إلى نيل موافقة من العلماء وأن لم يكن دعمهم، وكانت تلك الموافقة ترسم الحدود التي لم يكن يجوز للملك تجاوزها، وأمكن المحافظة على هذا التوازن استقرار المجتمع في ظل مثل تلك التغيرات السريعة الجادة، وقد تم التجاوز على أزمات العقود السابقة، وتم جمع عضوي حقيقي بين التقليدي والحديث غير وجه المملكة العربية السعودية.

عند تولي الملك فيصل الملك كان العلماء قد أقاموا نظاما هرميا متجانسا خاصا بهم ومستقلا عن الملك يترأسه المفتي العام، وكان الشيخ (محمد بن

إبراهيم آل الشيخ) الذي شغل هذا المنصب بعد الرجل الثاني في الدولة بعد الملك، على سبيل المثال، قام المفتي وقائد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عام ١٩٦٠ بتوجيه رسالة إلى الملك دافعا فيها عن حقهما في الاطلاع على كافة القوانين وأوامر الحكومة قبل أن تدخل حيز التنفيذ وأن يتقدما باستنتاجاتها بصدد تناسبها مع الشريعة الإسلامية.

وعزم الملك فيصل على إصلاح المؤسسات الدينية بعد وفاه (المفتي العام سعيا لتعجيل التحديث وأضعاف التبعية للعلماء، وتم عام ١٩٦٩ إنشاء منظومة من الهيئات الجديدة التي يشرف عليها الملك، كما تم تكوين المجلس الأعلى للقضاء، ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثبتت هذه المؤسسات وضع العلماء داخل نظام الدولة الحديثة بمثابة موظفين وإن كانوا موظفين من نوع خاص ورغم رقابتهم على المجالات التقليدية للحياة الاجتماعية شأنهم في السابق، إلا أنهم أصبحوا جزءا من نظام الإدارة الجديد.

وكانت بعض القرارات الجديدة للملك فيصل تصطدم بمقاومة شديدة من جانب العلماء، على سبيل المثال، القرار بفتح المحطة التليفزيونية في الرياض عام ١٩٥٦م أثار عاصفة من الغضب لدى بعض العلماء، وواجهها الملك بقبضة حديدية، فقد قتل ابن أخ الملك الأمير (خالد بن مساعد بن عبدالعزيز) على أيدي الشرطة أثناء الاضطرابات، ومع ذلك تم وضع البرامج التليفزيونية تحت رقابة صارمة للعلماء وكرست للمسائل الدينية أساساً.

وأدى سيل الدولارات النفطية دورا حاسما في دعم إصلاحات الملك

فيصـــل، و بدءا من الخطة الخمسية الأولى (الأعوام ١٩٧٠ـ ١٩٧٥) تغير الوجـــه الاقتصـــادي التكنولوجي و من ثم الاجتماعي للمملكة تغيرا جزريًا، وفي هذه الظروف ركز العلماء ـ بعد أن شغلوا مكانتهم داخل البنيتين السياسية والاجتماعيـــة ـ على المحافظـــة على الطابع السعودي الديني للدولة والمجتمع.

وأدت نشاطات المؤسسات الاجتماعية ـ السياسية للمملكة، مع سياسة دعم الحركات الأصولية في العالم الإسلامي كله، إلى ظهور معارضة دينية راديكالية داخل السعودية ذاتها في السبعينات، واتخذت هذه المعارضة شكلا لحركة الإخوان الجديد (الوهابيين الجدد) و ضمن أساساً طلبة المؤسسات التعليمية الدينية الذين أصلهم من البدو والإخوان، وكانت مجموعات صغيرة من الناس ذوي الميول التعصبية المتطرفة تمارس عملا دعائيا، ولم تتدخل هيئات الأمن في أعمالهم بنشاط كبير، لأن قادة تلك المجموعات ارتبطوا بأرفع العلماء مرتبة. إلا أن دعواتهم إلى تطهير الإسلام و ضد النظام السعودي "الفاسد" لم تلق صدى يلحظ وسط السكان.

حينئـذ انتقل المعارضون إلى أعمال حازمة، وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٩م استولى الإخوان الجدد وعددهم ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شخص على الحرم المكي في مكة المكرمة، ولم تستطع السلطات الرسمية التدخل في الأحداث قبل أن يحدد العلماء موقفهم، وفي ٢٤ تشرين الثاني فقط أصدر العلماء مسموعي الكلمة. رغم تعاطف الكثيرين منهم مع الثوار وإقامة الصلات بهم ـ أصدروا

فتوى تشجب الاستيلاء على المكان المقدس، وتلا ذلك هجوم القوات الحكومية والشرطة على المسجد وفرض النظام. ولم تظهر الانتفاضة فقط ضعف أنصار الأعمال المتطرفة الذين لم يلقوا دعما جماهيريا، بل أظهرت كذلك ولاء العلماء للنظام بشكل عام رغم توجيه انتقادات حادة له في بعض المسائل

خادم الحرمين الشريفين ومع ذلك فإن تلك الأحداث جعلت السلطة تتخذ جملة من الإجراءات تحقيقا لتعامل أوثق مع الجهات الدينية، وزادت أعمال الشرطة الدينية (هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) نشاطاً، أصبح الملك فهد (والذي تبوأ العرش عام ١٩٨٢)، أصبح يولي قدرا أكبر من الاهتمام لوظيفة الملك الدينية، على سبيل المثال، أن يفضل أن يلقب "بخادم الحرمين" (مكة والمدينة) وليس "جلالته" وتم تخصيص يوم خاص (هو يوم الاثنين) من أجل التشاور مع العلماء.

إلا أن عملية مزاحمة العلماء عن السياسة الكبرى تستمر في هذه الظروف أيضًا، ولقد تركز نشاط العلماء الدنيين في المملكة أكثر فأكثر على المجال الاجتماعي، وفي المقابل فإن إمكانياتهم محدودة جداً لدى اتخاذ القرارات الخاصة بمسائل هامة مثل السياسة الخارجية والأمن الداخلي والاستراتيجية الاقتصادية، واستخراج النفط وتوزيع الثروة الاجتماعية، مهما كانت أهمية تلك القرارات، على سبيل المثال، أتخذ الملك فهد قراراً بدعوة القوات الأجنبية أثناء الأزمة التي أثارها الغزو العراقي للكويت، بعد التشاور مع أكثر أعضاء العائلة الملكية نفوذاً فقط ولم يتطل بالأمر صدور فتوى من العلماء إذ كانت

موافقتهم مرفوضة[1]. ومع ذلك يبقى العلماء قوة هامة ومؤثرة، ويعد نظام التعليم من الأدوات الأساسية لترسيخ هذا الدور.

لدى أواسط القرن العشرين كانت نسبة الأميين في السعودية تصل إلى ٩٠٪ تقريباً، وبعد مضي عدة عقود فقط شمل التعليم الابتدائي والثانوي جميع سكان البلاد، وبما أن العلماء لم يكونوا رجال دين وقضاة فقط، بل ومرشدين دينيين ومعلمين بموجب التقليد، فقد حصلوا على إمكانيات فخمة للتأثير على عقول الناس وقلوبهم، لأن نظام التعليم الذي أنشيء خلال فترة قصيرة جداً والذي يعتبر حديثا تماما من حيث تكنولوجيته، وضع أيضًا تحت رقابة العلماء.

وتجري في المملكة العربية السعودية عملية التطور الارتقائي عن طريق إصلاحات حذرة وتدريجية لكنها تسفر عن تحويلات متعمقة وجذرية. ويشهد المجتمع السعودي جمعا عضويا بين ما هو تقليدي وما هو معاصر، ويحدد هذا الجمع خصوصية هذا المجتمع، وأن الحفظة والحملة الأساسيون للدين - العلماء - الذين يزاحمون تدريجيا عن عملية اتخاذ أهم القرارات السياسة يحافظون على دورهم التقليدي الحامي على صعيد السياسة ضامني استقرار ووحدة المجتمع على طريق تطوره، ويستمر الإسلام الوهابي في أداء دور متغير لكنه هام في النظام السياسية الجامع بين التقليد والتحديث للملكة العربية السعودية.

❖❖❖ ❖❖❖

(١) هذه دعوى مخالفة للحقيقة، فقد كان للعلماء دورهم البارز في هذا المجال، وقد عقد مؤتمر خاص بمدينة الرياض بعنوان (مهرجان الجهاد) برعاية العلماء في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أثناء بداية الأزمة.

سابعاً: المملكة العربية السعودية ونشر دعوة الحق في روسيا

الشيخ نضيع الله عشيروف[1]

ظهر أول مجتمع إسلامي في مكة المكرمة، وفق رسالة نبينا محمد (ﷺ)، وبذلك نشأت أول دولة إسلامية (في أراضي المملكة العربية السعودية الحالية)، التي استطاعت بناء دولة جديدة، يعود الفضل في تأسيسها إلى الملك الأسطورة عبدالعزيز بن سعود الذي لقب بجرأته "أسد جزيرة العرب". أسس دولة تجمع بين مبادئ التوحيد ونبذ الشرك بكافة مظاهره، وبين تطور المدنية الحديثة، ويعتبر المجتمع السعودي مثالاً لم يعرف من قبل في الضمانية والإيمان والاستقرار القائم على أساس عبادة الله وحده، وتطهير العقيدة والعبادات من الشرك والضلال، أنها البلاد التي تضم الحرمين الشريفين، وتصون المثل الطاهرة للإسلام التي تعود مناسبتها على أيام الرسول محمد (ﷺ) والصحابة، وعندما مضت القرون وأخذ الناس يتعبدون وفق عاداتهم وتقاليدهم ويعبدون أضرحة الأولياء والشيوخ، بما يمنحهم سمات الخالق، ظهرت في هذه الأرض بالذات التي شهدت دولة الإسلام حركة تطهير العقيدة الإسلامية في كل ما ليس له علاقة بدين التوحيد.

---

(١) رئيس مركز التنسيق الأعلى للهيئات الإسلامية في روسيا، ومفتي سيبيريا والشرق الأقصى الروسي.

لقد تركت الحقبة الاستعمارية بصماتها على المفاهيم الدينية للشعوب الإسلامية، وسيطرت العادات الباطلة على الناس في بلدان كثيرة، فصاروا يدعون في صلواتهم الشجر والحجر والقبور، ويقدمون الأضاحي إلى الأولياء ومقدساتهم وبلغ الأمر حد عبادتها، وكان لا بد من التخلص من جميع هذه البدع والانقسام الشديد في مختلف التيارات في أمة الإسلام والمتأتية عن الجهل والانحراف عن سبيل الله الحق، وفي العودة إلى مثل الإسلام الطاهرة على أساس القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وقد مارست العربية السعودية دوراً رئيسياً في نشر المعارف الإسلامية الأصيلة وتطهير العقيدة من البدع التي تقود إلى هدم الإيمان وإلى الشرك والضلال. حين كان المسلمون في الاتحاد السوفيتي السابق محرومين على مدى أكثر من سبعين عاماً من الاطلاع على الكتب الإسلامية، وفرصة دراسة أحكام دينهم، وانقطعت صلاتهم بأخواتهم في العقيدة، وغرقوا في لجة الضلال وتحول الدين إلى تقاليد وعادات، لكن مملكة العربية السعودية فهد بن عبدالعزيز أمر شخصيا وتم بموجبه في عام ١٩٨٩م إهداء المسلمين في الاتحاد السوفيتي آنذاك مليون نسخة من المصحف الشريف، وكانت بهجة المسلمين عظيمة بهذه الهدية، وزادت بهجتهم حين استطاع الآلاف من المسلمين زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج بدعوة من خادم الحرمين الشريفين الذي تولى جميع نفقات سفرهم وإقامتهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وآنذاك رأى المسلون القادمون من الاتحاد السوفيتي بأم أعينهم أفضليات الحكم القائم على أساس الشريعة الإسلامية، وحياة المسلمين في ظلها، علاوة على ذلك

كان لرؤساء وفود الحجاج الشرف الرفيع للقاء الملك فهد في مقره والذي استقبلهم بصفتهم من الأصدقاء المقربين، وأبدى لكل واحد منهم الترحيب مما يدل على تواضع هذا الرجل وكرمه وفي الوقت نفسه على هيبته وعطفه.

أن هذه الالتفاتة الطيبة من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، التي تجسد طيبته وسخائه قد دشنت صفحة جديدة في العلاقات بين المسلمين في روسيا، الذي تمزقهم التيارات والطرق ويعانون من بدع عبادة الأولياء وأضرحة الشيوخ، وجهود أخوتهم في المملكة العربية السعودية، ساهمت في التعريف بالمنابع النقية للعقيدة الإلهية الخالية من البدع والأباطيل، لدى الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق وروسيا الاتحادية اليوم التي توجد فيها تسع جمهوريات إسلامية، ويتجاوز عدد المسلمين فيها العشرين مليون نسمة.

كانت منظمات سعودية خيرية تمارس عملها في أراضي الاتحاد السوفيتي السابق، التي بدأت ببناء المساجد والمدارس الدينية وتنظيم دورات التوعية الإسلامية والمخيمات التربوية الصيفية حيث حصل على المعرفة الإسلامية آلاف الشباب وكانت الخطوة التالية في الدعوة هي إعداد خطة لتكوين شبكة في المؤسسات التعليمية الإسلامية في روسيا، التي لم يكن يوجد فيها معهد إسلامي واحد باستثناء مدرسة مير عرب في بخارى التي كان يدرس فيها (٤٠) طالباً، وبدأت الجامعات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض، باستقبال الطلاب من روسيا لتعليمهم مجانا، وبذلك أرسى الأساس المتين لنشر المعارف الإسلامية، وبدأ بدعم وتمويل رجال الأعمال السعوديين ببناء وترميم

المساجد والمدارس الدينيــة التي كان الأساتذة السعوديون يعلمون فيها المسلمين أصول دينهم، ويساعدون في تنظيم الدورات التعليمية في المساجد.

كما قامت بنشاط ملموس منظمات سعودية أخرى في مجال طباعة الكتب الإسلامية وترجمتها إلى لغات شعوب الاتحاد السوفيتي التي حصلت على فرصة نادرة لمعرفة أصول دينها بلغاتها الأم، وأسهمت برصيد لا يقدر بثمن حقا وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية في التطوير والوزير الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي شــخصياً في تطوير العلاقات الثقافية الإسلامية بين بلدينا، فقد عقدت بدعم الوزارة والهيئات الخيريــة الإسلامية لأول مرة في تاريخ الوزارة والهيئات الخيريــة الإسلامية لأول مرة في تاريخ روسيا عدة مؤتمرات دولية كانت حدثا مشهودا حقا بالنسبة إلى مسلمي روسيا، واستقبلت موسـكو لأول مرة في تاريخها كبار الضيوف من الدول الإسلامية حيث تليت في احتفالات مهيبة من خيرة صالات العاصمــة الروســية آيات الذكر الحكيم، وكانت زيارة الدكتور عبدالله التركي حدثا كبيرا بالنسبة للأمــة الإسلامية بروسيا كلها عندما عقد في أفخم فنــادق موسـكو المؤتمر الدولي (العمل الإسلامي وضرورة التنسيق)، والذي شارك في عقده مركز التنسيق الأعلى للهيئات الإسلامية في روسيا، واعتمدت وثائق وتوصـيات المؤتمر التــاريخي هذا كأساس في إعداد خطة طويلة الأجل لتنسـيق العمل الإسلامي بين الهيئات الإسلامية في روسيا لفترة عدة أعوام مقدما.

وقد أعطى ثماره اليافعة هذا العمل الواسع النطاق في انبعاث الأسس الأخلاقية للمسلمين، وفي أعوام التعاون المثمر مع المملكة العربية السعودية

الذي يتواصل حتى يومنا هذا تم تأسيس مدارس إسلامية لإعداد أئمة المساجد كما افتتحت في المدارس والمساجد مكتبات للمطبوعات الإسلامية، وبفضل رعاية ودعم المفتي العام الشيخ عبدالعزيز بن باز، رفدت هذه المكتبات بنسخ من مجموعات الفتاوى ومجلات لجنة البحوث العلمية التي أصبحت مراجع بالنسبة إلى أئمة المساجد والأساتذة في المعاهد الإسلامية، وبفضل تبرعات الأخوة السعوديين وكذلك المسؤولين في الجامعات الإسلامية في المملكة يزداد عدد الطلاب في روسيا الذين سيحملان في المستقبل دعوة الحق إلى شعوبهم.

واليوم يتحسس المسلمون في روسيا مساعدة ورعاية أخوتهم في الدين في المملكة العربية السعودية الذين يدعون على أساس القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى الخير ويحملون نبراس العقيدة الحقه ويبعدون الناس عن الإثم والضلال، ويساعدون المسلمين في روسيا للعودة إلى الطريق القويم الذي دعانا إليه نبينا محمد (ﷺ)، وبهذا تسهم المملكة قيادة وشعبا برصيد كبير في الدعوة إلى الدين الحق في العالم بأسره.

❖❖❖ ❖❖❖

ثامناً: مقولات متفرقة:

للأكاديمي "يفغيني بريماكوف"[1]

إتهام المملكة العربية بالتطرف مزاعم لا أساس لها من الصحة.

اعتبر "يفغيني بريماكوف" اتهام المملكة العربية السعودية، بالتطرف مزاعم لا أساس لها من الصحة، وأن محاولات إظهار أن الجماعات المتطرفة لها علاقات بالمملكة العربية السعودية "ليست أكثر من تشويه للحقائق".

كما ذكر في كلمته التي ألقاها في المؤتمر الدولي الذي افتتح في موسكو يوم ٢٤ مايو ٢٠٠٥ تحت عنوان "الاسلام دين السلام":

"أن المملكة العربية السعودية وغيرها من الأنظمة المعتدلة ليست على الجانب الآخر من المتاريس مع الإرهابيين. بعض الجماعات المتطرفة تسمى نفسها وهابية، لكنها في الواقع لا تعرف حتى ما هي الوهابية".

ولا اتفق مع رأي من المحللين السياسيين الغربيين الذين يميلون إلى الحديث عن الإسلام كدين عدواني يدعو إلى الحرب ضد ممثلي الديانات الأخرى.

"يخلط بعض علماء السياسة الغربيين باستمرار بين مفاهيم الدين والحضارة، فالدين جزء مهم من الحضارة، لكن هذه المفاهيم ليست متطابقة. من المستحيل تقسيم العالم وفقًا لمبدأ ديني – فهذه المحاولات محفوفة

(١) وزير الخارجية الأسبق، ورئيس الوزراء الأسبق لروسيا الاتحادية، وآخر مهام عمله/ رئيس الغرفة التجارة والصناعة الروسية.

بالمخاطر على البشرية[1].

في حوار مع موقع مجلس شورى المفتين لروسيا الاتحادية بريماكوف: "أنا أؤيد الفصل بوضوح بين الأصولية والتطرف"!.

كيف تقيم كرجل دولة، مدى التفاعل بين المنظمات الدينية الإسلامية والدولة؟ وكيف تقيمون أنشطة صندوق دعم الثقافة الإسلامية والعلوم والتعليم، هل أنت رئيس مجلس الأمناء؟

- الآن فقط بدأت الدولة في الاهتمام بهذه القضايا أكثر من ذي قبل.

الوهابيون الذين نشأوا في بلادنا، والذين، بالمناسبة، لا يعرفون شيئًا عن الشكل الذي يوجد فيه الإسلام في نفس المملكة العربية السعودية، يعتقدون أنه من الضروري فرض عقيدتهم وآرائهم بالقوة. أنا أؤيد حقيقة أننا نفصل بوضوح بين الأصولية والتطرف. الأصولية موجودة في كل دين. وإذا سعى أصحاب المعتقدات المختلفة إلى إثبات أنفسهم في دينهم وسعوا إلى تطويره، فلا حرج في ذلك. بعد كل شيء، المسلمون، على سبيل المثال، ليسوا مطالبين بالسعي لدفن موتاهم في نعش. التابوت ليس رمزا للحضارة. هذه عادة معينة نشأت بشكل رئيسي بين المسيحيين. وفي الهند، على سبيل المثال، يتم حرق

---

(١) « وكالة انتر فاكس وموقع صحيفة خط الشعب الروسي الأرثوذوكسية » تاريخ النشر: ٢٠٢٢/٠٢/٠١م

- Русская Народная Линия и Интерфакс
Примаков считает безосновательными обвинения в экстремизме в адрес Саудовской Аравии .
https://ruskline.ru/news_rl/2005/05/25/primakov_schitaet_bezosnovatel_nymi_obvineniya_v_e_kstremizme_v_adres_saudovskoj_aravii

الموتى. لا يوجد شيء مستهجن في هذا. فليعمل كل فرد وفق تعاليم دينه، بشرط ألا يخل هذا بالسلامة العامة[1].

يفغيني بريماكوف: نتيجة المواجهة بين الإسلاميين المعتدلين والراديكاليين ستؤثر ليس فقط على مستقبل الشرق الأوسط، بل على مستقبل بقية العالم.

ومع ذلك فأنا أتحدث عن نفسي مرة أخرى. طالبان في أفغانستان، والسلفيون في مصر، والوهابيون في شمال القوقاز ... ما هي برأيك أسباب تزايد شعبية الحركات الإسلامية المتطرفة؟

يفغيني بريماكوف: التقيت بملك المملكة العربية السعودية (الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله) عدة مرات، عندما كان لا يزال وليًا للعهد وعندما أصبح ملكًا. وأخبرني عن الوهابيين حيث شرح لي: من الخطأ تمامًا ربط هذا المنهج بالراديكالية الحادة للإسلام. كانت الأطروحة الرئيسية والاتجاه الرئيسي لخطب عبد الوهاب، الذي عاش في القرن الثامن عشر، العودة إلى أصول الإسلام. المرجع الوحيد في الصلاة والدعاء للوهابيين هو الله. وليس إلى الأولياء أو غيرهم.

نعم، العالم الإسلامي غير متجانس، وهناك من يتبع الإسلام المعتدل، وهناك متطرفون. وبالطبع، سيتوقف الكثير على كيفية تطور المواجهة بين ممثلي

(1) Примаков: «Я стою за то, чтобы мы четко разделяли фундаментализм и экстремизм.

موقع مجلس شورى المفتين لروسيا الاتحادية.

https://muslim.ru/articles/294/12901 - /Совет муфтиев России (muslim.ru).

هذه الحركات. علاوة على ذلك، فإن نتيجة هذه المواجهة لن تؤثر على مستقبل الشرقين الأدنى والأوسط فحسب، بل ستؤثر أيضًا على بقية العالم[1].

يجب أن ننطلق من الواقع - يفغيني بريماكوف.

هناك موجه ضد الأنظمة الإسلامية العلمانية أو المعتدلة. ومن السمات الأخرى التي يبدو أنه يجب وضعها في الاعتبار أن الدول ذات الأنظمة الإسلامية لا يمكن اعتبارها حليفة للتطرف في الحركة الإسلامية بشكل عام والمتطرفين الإسلاميين في شمال القوقاز بشكل خاص.

غالباً ما يكون لدينا مفهوم خاطئ أولي، مفاده:

بما أن المتطرفين في شمال القوقاز يتصرفون تحت شعار الوهابية، فهذا يعني أنهم مدعومـــــون من المملكة العربية السعودية بنظامها الوهابي. بادئ ذي بدء – أنا متأكد من ذلك – "الوهابيون" لدينا لا يعرفون أن هناك اختلافات جوهرية بين تعاليم عبد الوهاب، الذي تحدث عنها في القرن الثامن عشر، وأفكار الجهاديين (المتطرفين الإسلاميين) في الوقت الحاضر.

(في عام ٢٠١٠م، نُشر في روسيا كتاب مترجم إلى اللغة الروسية من قبل باحث في مركز الحوار الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون (الولايات المتحدة الأمريكية) ناثان ديلونغ با بعنوان "إصلاحات محمد بن عبد الوهاب والجهاد

(1) Евгений Примаков: Исход противоборства между умеренными исламистами и радикалами повлияет на будущее не только Ближнего Востока, но и всего остального мира.

« راسيسكايا غازيتا » Российская газета» تاريخ النشر: ٠٨/ ٠٨/ ٢٠١٢م

https://rg.ru/2012/08/08/vostok.html

العالمي". أولئك الذين يهتمون بالجوهر الحقيقي للوهابية، أوصي بهذا الكتاب).

في عام ٢٠٠٨، أتيحت لي الفرصة للتحدث مع الملك عبدالله ملك المملكة العربية السعودية. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يستقبلني فيها، وبالتالي تجاوزت المحادثة الإطار الرسمي. سألت الملك عن موقفه من الجهاديين المتطرفين. أجاب الملك السعودي: "أنا من أشد المؤيدين للإسلام المعتدل"[1].

❖❖❖ ❖❖❖

(1) Нужно исходить из реальностей – Евгений Примаков.

«وكالة الأنباء الإسلامية الروسية إسلام نيوز»

Информационное агентство IslamNews с

https://islamnews.ru/Nuzhno-ishodit-iz-realnostej-Evgenij-Primakov

القسم الثاني:

ملحق علمي موضوعي عن الوهابية:

أولاً: الدعوة الإصلاحية النجدية (الوهابية)

إعداد الأستاذ الدكتور: عويضة بن متيريك الجهني[1].

وصل العالم الإسلامي خلال القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) الى درجة كبيرة من الضعف والانحدار؛ فقد ضعفت الدولة العثمانية، المسيطرة على قلب العالم الإسلامي وتسرب الفساد الى مؤسساتها السياسية والإدارية والعسكرية، وبدأت تتعرض أطراف بلاد المسلمين في الشرق والغرب لهجمات الدول الاستعمارية الغربية، ولم تسلم حتى الإمبراطورية العثمانية من هجمات الروس والنمساويين والبنادقة على الأقاليم التابعة لها في شمال البحر الأسود وشرق أوروبا والبحر المتوسط.

وفي الجانب الديني والعلمي اكتفى العثمانيون بعلوم العصور الوسطى وعزلوا أنفسهم والبلاد والمجتمعات التابعة لهم عما كان يحدث في أوروبا المجاورة من تقدم في التجارة والصناعة والعلوم، ورعى سلاطينهم ووزراؤهم وعلماؤهم التصوف والأفكار الغيبية والبدع والخرافات وتبعوا مشورة المنجمين في الأمور السياسية والعسكرية.

لاحظ بعض علماء المسلمين، وخاصة من غير المرتبطين بالحكومات -وهم ضمير الأمة- الأخطار المحدقة ببلاد المسلمين، واعتقدوا أن سبب ذلك يعود إلى ابتعاد المسلمين عن أصول دينهم، وانحراف عقائدهم وعباداتهم، وأن المسلمين

---

[1] أستاذ التاريخ الحديث، في جامعة الملك سعود بالرياض - سابقاً، حاصل على درجة دكتوراه الفلسفة، في التاريخ من جامعة واشنطن ، بمدينة سياتل، بعنوان: "تاريخ نجد قبل الوهابية: دراسة للظروف الاجتماعية والسياسية والدينية في نجد إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية".

لن يستعيدوا مجدهم وقوتهم إلا بالعودة إلى الأصول الأولى للإسلام، وما كان عليه السلف الصالح خلال القرون الثلاثة الأولى المفضلة، وذلك عن طريق العودة إلى القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة.

والواقع أن بعض علماء المسلمين تنبهوا إلى هذه الأخطار خلال القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) وكان من أبرزهم الشيخ قاضي زادة محمد أفندي المتوفي في إستانبول عام ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م. وقد انتقد الشيخ قاضي زاده وأتباعه من وعاظ مساجد إستانبول مظاهر الفساد في مؤسسات الدولة العثمانية وانحرافات شيوخ واتباع الطرق الصوفية في العقائد والعبادات، وتمكنوا من إقناع كثير من سكان العاصمة بآرائهم. كما تمكن تلميذه أسطواني محمد أفندي من إقناع عدد من رجال القصر العثماني بآرائه الإصلاحية،

وضمن تعيين بعض أتباعه في المناصب الدينية، ومورس الضغط على أتباع الطرق الصوفية حتى أغلقت بعض تكايا الدراويش وسجن بعض مريديها. فثار النزاع بين هؤلاء المصلحين وبين شيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم، فلما احتدم الصراع، خاف الصدر الأعظم؛ محمد باشا كوبرولي - الذي كان يحاول إعادة القوة والتماسك للدولة - من انقسام المجتمع وشيوع الفوضى، فقبض على كبار أتباع قاضي زاده وأرسلهم إلى المنافي عام ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م.

أما في المغرب فقد بدأ بعض علماء المغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) في انتقاد الغلو في التصوف والمبالغة في تقديس الأولياء، ما نتج عنه بروز ما سمي "التصوف الجديد" أو التصوف المعتدل، الذي برز خلال القرنين التاليين والذي انتهى بظهور الطريقة الإدريسية والسنوسية. وكان أحد

أبرز تلاميذ أولئك العلماء، الشيخ محمد بن سليمان الروداني، الذي درس عليهم علوم الحديث والشريعة ثم رحل إلى مصر وجاور في الحرمين الشريفين لفترة طويلة وتمكن بدعم من الصدر الأعظم أحمد باشا كوبرولي، المتوفى عام ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م من إنجاز إصلاحات سياسية وإدارية ودينية في مكة المكرمة، خلال الفترة ١٠٨٢-١٠٨٧هـ/١٦٧٢-١٦٧٧م.

نتج عن تفكك إمبراطورية المغول في الهند في نهاية القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) وضعف المجتمعات الإسلامية هناك، بروز عدد من العلماء الذين عرفوا "بأهل الحديث" أو " أنصار السنة" الذين اعتقدوا أن ضعف المجتمعات الإسلامية وتعرضها لهجمات الهندوس والسيخ والإنجليز يعود لإهمال المسلمين لأصول دينهم وفساد عقائدهم وشيوع عقائد الطرق الصوفية. واعتقد أهل الحديث وأنصار السنة أنه لا يمكن استعادة المسلمين لقوتهم إلا بالعودة إلى ما كان عليه سلف الأمة وذلك بدراسة الأحاديث النبوية وإحياء السنة. وكان من أبرز أولئك العلماء في بداية القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) الشيخ شاه ولي الله الدهلوي المتوفي عام ١١٧٥هـ/١٧٦٢م.

جاور في الحرمين الشريفين، وخاصة في المدينة المنورة خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) عدد من العلماء المشارقة ؛ من أهل الحديث وأنصار السنة، وعدد من العلماء المغاربة، من أهل الصوفية الجديدة (المعتدلة)، وكانوا يدرسون ويتدارسون وجهات نظرهم في إصلاح أحوال المسلمين الدينية والدنيوية، وكان من أبرزهم الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي المتوفي عام ١١٣٤هـ/١٧٢٢م وتلاميذه، والشيخ أبو الحسن بن عبد

الهادي السندي المتوفي عام ١١٣٨هـ/١٧٢٦م والشيخ محمد حياة السندي المتوفي عام ١١٦٣هـ/١٧٥٠م. وكانت هذه الفترة هي التي رحل خلالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية النجدية، إلى الحرمين ودرس على بعض أولئك العلماء، وخاصة الشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبدالله ابن سيف النجدي المتوفي عام ١١٤٠هـ/١٧٢٨م.

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدة العيينة، أكبر بلدان العارض في وسط نجد عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م، وتلقى علومه الأولى على والده، قاضي البلدة، ثم رحل في سن مبكرة إلى الحرمين للدراسة، وكان من أبرز شيوخه في المدينة المنورة الشيخ محمد حياة السندي وغيره من أهل الحديث الداعين إلى العودة إلى الأصول الأولى للإسلام وما كان عليه سلف الأمة. ثم رحل الشيخ بعد ذلك إلى البصرة والأحساء، حيث وجد في كل هذه الأماكن كتب الشيخ أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيِّم الجوزية، فتأثر بما فيها من آراء في العقائد والعبادات ونقد التصوف والبدع.

لم تكن مظاهر الشرك والبدع وعقائد المتصوفة -التي انتقدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب- أكثر انتشارا في نجد منها في البلدان الإسلامية الأخرى مثل الحجاز، والعراق ومصر وغيرها. بل كان المجتمع النجدي بسيطا في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية. وكان ذلك المجتمع يعاني من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية كبيرة لا تقل عن مشكلة الجهل بالأمور الدينية. لكن الدين في جزيرة العرب كان دائما هو الرافعة القوية والفاعلة لإصلاح المشكلات الدنيوية.

شهد المجتمع النجدي خلال القرنين أو الثلاثة قرون التي سبقت ظهور الدعوة الإصلاحية النجدية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) تحولات وتغييرات جذرية في النواحي الدينية والعمرانية والسكانية ؛ حيث كان عدد العلماء والمطاوعة يتضاعف في كل قرن، وخاصة في أقاليم الوشم والعارض وسدير. كما تضاعف عدد القرى والبلدان الناشئة في المنطقة عدة مرات خلال تلك الفترة، فأكثر من ثمانين في المئة من القرى والبلدان التي شاركت في حروب الدعوة الإصلاحية وتوسع الدولة السعودية الأولى، لم تكن موجودة قبل القرن التاسع الهجري (١٥م) وهذا يعني أنها نشأت خلال الثلاثة قرون التي سبقت ظهور الدعوة الإصلاحية. وخلال الفترة نفسها، انساحت إلى نجد عدة قبائل كبيرة مثل : الظفير وعنزة ومطير من الغرب، وأفرع من بني لام من الشمال وقحطان والدواسر من الجنوب. ودخلت هذه القبائل في صراع على أفضل مراعي نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) وبدأت تفرض نفوذا وإتاوات على بلدان سافلة نجد وقوافل التجارة والحج العابرة بالمنطقة. وهذا يعني أيضا أن عدد سكان نجد من الحضر والرحل قد تضاعف عدة مرات خلال تلك الفترة.

لقد أبرزت التحولات والتغييرات الدينية والعمرانية والسكانية المهمة التي مر بها المجتمع النجدي مشكلات سياسية واجتماعية ودينية، وبالتالي حتمت إيجاد حلول دينية وسياسية وأمنية لتلك المشكلات. وقد أدركت الفئات القيادية في المجتمع وهم العلماء وأمراء البلدان خطورة تلك المشكلات وضرورة إيجاد حلول لها. وكان من أبرز القادة الذين تنبهوا لتلك المشكلات وأرادوا

التصدي لمعالجتها: الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمير العيينة عثمان بن معمر وأمير الدرعية محمد بن سعود.

عاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من رحلاته العلمية إلى نجد حوالي عام ١١٤٦هـ/١٧٣٤م، بعد أن شاهد في الحجاز وجنوب العراق والأحساء من البدع والانحرافات العقدية ومظاهر الشرك، أكثر مما هو موجود في نجد، لكن آراء شيوخه في المدينة المنورة وما قرأه في كتب ابن تيمية وحماسته لتلك الآراء دفعه إلى تطبيقها في مجتمعه المحلي، فبدأ يعظ الناس ويكتب الرسائل الدينية القصيرة ويجادل علماء بلده في أمور الشرك والبدع وانحرافات العقيدة، وكتب كتابه المشهور " كتاب التوحيد" إلا أن بعضا من علماء نجد وأكثر أمرائها لم يتقبلوا دعوته، لمخالفتها ما تعودوا عليه، ولتهديدها لمصالحهم الذاتية.

أدرك الشيخ ابن عبد الوهاب -من خلال فشل دعوة ابن تيمية في القرن الثامن الهجري (١٤م)- عدم نجاح هذه الدعوة إذا لم تسندها قوة سياسية تحميها وتساعد في نشرها. والواقع أن الإصلاح السياسي والاجتماعي للمجتمع النجدي كان حاضرا في ذهن ابن عبدالوهاب ؛ فقد أشار كل من ابن غنام وابن بشر إلى أن الشيخ بشّر كل من عثمان بن معمر، أمير بلدة العيينة، ثم محمد بن سعود، أمير بلدة الدرعية حينما كان يعرض عليهما دعوته ويطلب منهما دعمها وحمايتها، بأنهما " سيحكمان نجدًا وأعرابها"، إذا هما قبلا دعوته الإصلاحية وساعدا في نشرها. وحينما تراجع ابن معمر عن دعم الدعوة الإصلاحية لظروف خاصة به، بادر الأمير محمد بن سعود لالتقاط تلك الفرصة

النادرة، لأنه أدرك المنافع الدينية والسياسية التي يمكن كسبها من دعم تلك الدعوة.

حصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دعم ومناصرة أمير الدرعية محمد بن سعود لدعوته الإصلاحية عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م بعد أن تخلى عنها أمير العيينة -مسقط رأسه- وقد استأنف الشيخ دعوته بإرسال الرسائل والمواعظ والمبعوثين إلى علماء وأمراء البلدان النجدية الآخرين. وكانت المعارضة السياسية أقوى من المعارضة الدينية بكثير، لأن أمراء بلدان نجد خافوا من فقد سلطتهم السياسية على بلدانهم لصالح حكومة الدرعية الجديدة. والواقع أن منطقة نجد لم تشهد حكومة مركزية أو عامة منذ العصر العباسي الأول. وظلت بلدان نجد منذ ذلك التاريخ مستقلة عن بعضها ومتنافسة ومتحاربة مع بعضها البعض طوال الوقت. وقد ازدادت تلك المنافسات والحروب خلال الثلاثة قرون الأخيرة التي شهدت نموا واسعا في عدد البلدان وعدد السكان الحضر، انسياح عدد من القبائل الرحل إلى المنطقة خلال الفترة نفسها ؛ بسبب عدم كفاية الموارد المحدودة في المنطقة للأعداد المتزايدة من السكان.

ولأن الشيخ ابن عبد الوهاب كان يرى ضرورة إقامة سلطة سياسية لحماية الدعوة ونشرها، ولأن أحد أهم مبادئ دعوته ؛ تطبيق الشريعة الإسلامية بدلا من الأعراف والتقاليد التي كان يحتكم إليها غالب أهل نجد، فقد ارتبط الإصلاح الديني بالإصلاح السياسي منذ البداية. ولذلك رفض غالب أمراء بلدان نجد النفوذ السياسي للدرعية حفاظا على استقلالهم الذي ألفوه منذ قرون طويلة، ما اضطر قادة الدرعية إلى محاربة أولئك الرافضين،

ولذلك أمضى قادة الدعوة والدولة أربعين عامًا لتوحيد منطقة نجد وحدها، واستغرق ضم منطقة الأحساء وشرق جزيرة العرب عشرة أعوام أخرى. وكان توحيد أقاليم نجد وضم سواحل شرق جزيرة العرب إليها، أهم إنجازات الإمام عبد العزيز، ابن مؤسس الدولة: محمد بن سعود المتوفي عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م وتلميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفي عام ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م. ولم يتوفى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، إلا بعد أن دخل جيشه وحجاج رعيته مكة المكرمة معتمرين في ذلك العام بقيادة ابنه وقائد جيوشه، سعود، الذي تمكن خلال العشر سنوات التالية من توسيع مساحة الدولة التي امتدت من جبال اليمن وعمان جنوبا إلى سواحل الخليج العربي شرقا إلى غرب الفرات وجنوب بلاد الشام شمالا إلى سواحل البحر الأحمر غربا والتي عرفت بالدولة السعودية الأولى.

احدثت الدعوة الإصلاحية النجدية والدولة السعودية التي قامت على أساسها تغييرات مهمة في تاريخ الجزيرة العربية عامة، وتاريخ وسط الجزيرة خاصة، خلال العصر الحديث. حيث صححت الدعوة عقائد وعبادات سكان الأقاليم التي أخضعتها؛ فأزالت البدع والشوائب ومظاهر الشرك التي تراكمت على سلوكهم الديني عبر العصور الماضية، ونشرت التعليم والمعرفة الدينية الصحيحة وأزالت الجهل بين غالب رعاياها وخاصة من الحضر. وبعد أن ضمت الدولة السعودية الحرمين الشريفين، أتيحت الفرصة لنشر مبادئ الدعوة بين الحجاج القادمين من مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فوصلت تلك المبادئ الإصلاحية إلى بلاد المغرب وإفريقيا وإلى بلاد الهند وجزر الهند الشرقية وغيرها.

وفي المجال السياسي، أقامت الدعوة والدولة السعودية نظاما سياسيا عاما، شمل أغلب أقاليم جزيرة العرب لأول مرة منذ صدر الإسلام. وقد فرض ذلك النظام الشريعة الإسلامية وبسط الأمن والعدل والسلام في جميع تلك الأقاليم والصحراء الواسعة، وحمى سكان القرى والبلدان من بعضهم البعض ومن هجمات القبائل الرحل، وجمع بين الحضر والرحل في دولة واحدة، وحمى قوافل الحج والتجارة العابرة لجزيرة العرب، ووفر الأمن للحجاج والتجار والمسافرين عبر هذه المنطقة الواسعة بعد أكثر من تسعة قرون من الخوف والفوضى والتفكك والاضطرابات والحروب المستمرة.

توسعت الدولة السعودية الأولى على أطراف ثلاثة من أهم ولايات الدولة العثمانية: العراق والشام والحجاز في بداية القرن الثالث عشر الهجري (١٩م). وكان الحجاز والحرمان الشريفان أهم تلك الولايات للسلطان العثماني لحاجته لدعم مكانته الدينية عند رعيته وبين المسلمين في ظل انحدار مؤسسات الدولة وانكماش حدودها. وكان قادة الدولة السعودية الدينيين والسياسيين ينتقدون الدولة العثمانية وقادتها وعلمائها ويعدونهم مضيعين للشريعة والعقيدة الاسلامية الصحيحة، وداعمين للتصوف وتقديس القبور، ورعاية البدع والمظاهر الشركية. ولذلك عد العثمانيون وعلماؤهم في استانبول ومصر والعراق والشام والحجاز أتباع الدعوة الإصلاحية النجدية والدولة السعودية خوارج وأتباع دين أو مذهب جديد، وسموهم "وهابية" نسبة لصاحب دعوتهم، وهي تسمية كرهها أهل الدعوة لأنها صدرت عن أعدائهم بقصد تشويه سمعتهم.

بلغت العداوة ذروتها بين الدولة العثمانية وبين الدولة السعودية وأهل الدعوة الإصلاحية، حينما استولى الامام سعود بن عبدالعزيز في بداية عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م على الحرمين الشريفين وطرد ممثلي الدولة العثمانية منهما وأزال ما عده أهل الدعوة من مظاهر الشرك والبدع، وحرم السلطان العثماني من أعز ألقابه " خادم الحرمين الشريفين" و "خليفة المسلمين". عندها، شن السلطان ورجاله وعلماء دولته حربًا دعائية ضد "الوهابيين" ومنعوا حجاج المناطق التابعة لهم من أداء نسك الحج بذريعة انعدام الامن، وفرضوا حصارًا اقتصاديًا على الحجاز، وأخذ السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) يبحث عمن يستطيع من ولاته استعادة الحرمين الشريفين للسيادة العثمانية، لعجزه عن القيام بذلك بنفسه.

وجد السلطان ضالته في والي مصر الجديد، محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) الذي كان يسعى لإثبات ولائه للسلطان والدولة العثمانية، وتثبيت نفسه في ولاية مصر، والذي كان يسابق السلطان في التحديث والتجديد لانتشال الدولة من الانحدار والتخلف الذي كانت تعاني منه، وذلك باقتباس علوم وفنون الغرب الإدارية والعسكرية. وقد تمكن السلطان محمود الثاني ووالية محمد علي باشا من الحاق الهزائم بجيوش الدولة السعودية التي كانت تحارب وتقاوم بأساليب العصور الوسطى، وتمكنا من القضاء على الدولة السعودية وهدم عاصمتها الدرعية عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م بعد سبع سنوات من القتال.

كان من المفارقات الكبرى أن يقضي السلطان محمود الثاني ووالیه في مصر، اللذان كانا يعملان على انتشال الدولة العثمانية من التخلف والضعف، على حركة إصلاحية دينية وسياسية أعادت لجزيرة العرب مكانتها بين المسلمين وكانت تعمل للهدف نفسه الذي كان يهدف اليه السلطان ووالیه وهو إعادة القوة للأمة الإسلامية لمواجهة الاخطار الغربية. لكن الخلاف الديني بين الجانبين وفقد السلطان لأعز ما كان يملكه في ذلك الوقت، وهو السيادة على الحرمين الشريفين، لم يترك مجالًا للتقارب بين الطرفين.

❖❖❖ ❖❖❖

ثانياً: عرض لنماذج من كتابات المعتدلين عن الوهابية

(١) (الأديب والكاتب العربي/المصري: طه حسين) يدافع عن دعوة الشيخ /محمد بن عبدالوهاب:

كشف الدكتور محمد عمارة في كتابه الجميل "**طه حسين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام**"، الذي صدر ملحقا بمجلة الأزهر، عن أوراق مجهولة من تراث عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وكيف لا تندهش وأنت تقرأ للرمز الكبير الذي سوّق له التغريبيون على أنه أدار ظهره للهوية الإسلامية ويمم وجهه شطر الفكر الغربي والتنوير الغربي، فإذا بك أمام رجل شديد الاعتزاز بهويته وبدينه، ويدافع بكل قوة عن دعوات التجديد الديني التي شهدها العالم الإسلامي في العصر الحديث، وقد توقف طه حسين عند دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب، وأبدى إعجابه الشديد بدعوته، وقال أنها في جوهرها دعوة لإعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه وتوحيده الخالص كما جاء به النبي الكريم في أول الدعوة، بل تزداد دهشتك عندما تقرأ لطه حسين، وهو المصري المعتز بمصريته، ينتقد تدخل مصر في جزيرة العرب ضد دعوة ابن عبد الوهاب، ويقول أن تدخل الترك والمصريين ضد الدعوة حرم العالم العربي من نور تجديدها الذي كان من شأنه توحيد العرب على الإسلام الخالص كما أتى به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. ويمضي بنا

كتاب عمارة إلى مقال جميل كتبه الدكتور طه حسين في مجلة الهلال، عدد مارس لعام ١٩٣٣ ميلادية، خصصه للحديث عن الوهابية والسلفية.

فكتب يقول: إن مذهب محمد بن عبد الوهاب جديد قديم معا، جديد بالنسبة للمعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصا مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب، فقد أنكر محمد بن عبدالوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة، كانوا يعظمون القبور ويتخذون الموتى شفعاء، ويعظمون الأشجار والأحجار ويرون أن لها من القوة ما ينفع وما يضر) . ثم يستعرض طه حسين في مقاله التاريخي أوجه التشابه بين دعوة ابن عبد الوهاب والدعوة النبوية الكريمة في أول عهدها فيقول: (ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز، فقد دعا صاحبه إليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس، فلما أظهر دعوته أصابه الاضطراب وتعرض للخطر، ثم أخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر كما عرض النبي نفسه على القبائل، ثم هاجر إلى الدرعية وبايعه أهلها على النصر كما هاجر النبي إلى المدينة، ولكن ابن عبدالوهاب لم يرد أن يشتغل بأمور الدنيا، فترك السياسة لآل سعود واشتغل هو بالعلم والدين، واتخذ السياسة وأصحابها أداة لدعوته). ويتأسف طه حسين في مقاله التاريخي من وجود عوائق منعت الدعوة الوهابية من الوصول إلى مصر وباقي البلاد العربية حينها، فكتب منتقدا الدور التركي "العثماني" والمصري حينها

ويقول: (ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب، وحاربوه في داره بقوة وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها، لكان من المرجو جدا أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر للهجرة كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول، ولقد ترك هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب، وكان هذا الأثر عظيما خطيرا في نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ووضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت في سبيله بالسيف والقلم واللسان، وهو قد لفت المسلمين جميعا، وأهل العراق والشام ومصر بنوع خاص إلى جزيرة العرب، ولقد استدعى الصراع الفكري بين الوهابيين وخصومهم الرجوع إلى كتب التراث ونشر الرسائل والكتب التي يؤيد بها كل فريق مذهبه، فنشرت كتب ابن تيمية وابن القيم واستفاد العالم العربي كله من هذه الحركة العقلية الجديدة). ويزيد طه حسين في توضيح الأثر الرائع والكبير لدعوة محمد بن عبدالوهاب على صعيد فنون الشعر والأدب العربي، وكيف أحدثت نهضة كبرى فيه فكتب يقول: (وظهر حول الأمراء المجاهدين من أهل نجد جماعة من الشعراء عادوا بالشعر إلى الأسلوب القديم، وأسمعونا في القرن الثاني عشر والثالث عشر في لغة عربية فصيحة هذه النغمة العربية الحلوة التي لم تكن تسمع من قبل، النغمة التي لا تقلد أهل الحضر ولا تتكلف البديع، وإنما تنبعث حرة، تحمل كل ما تجيش به نفس صاحبها من عزة وطموح إلى المثل العليا، ورغبة قوية في إحياء المجد القديم). هذا ما كتبه طه حسين عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتجديدها في الدين والعلم والسياسة والأدب، ويتحسر الرجل على أن العوائق منعتها من توحيد بلاد العرب جميعا على

المذهب التجديدي الذي أعاد الإسلام إلى صفائه ونقائه الذي أتى به أول مرة، حسب وصفه، وأنا واثق أن هذا المقال لو تم عرضه مع حجب اسم كاتبه، لتصور من يقرؤه أنه لأحد الدعاة السلفيين من أشد المتحمسين لدعوة ابن عبدالوهاب رحمه الله، ورحم أديبنا الكبير.

❖❖❖ ❖❖❖

(٢) مما قاله الشيخ /

محمد تقي الدين الهلالي المغربي[1]

وضعت حاشية على كتاب (كشف الشبهات) لشيخ الإسلام (محمد بن عبدالوهاب) وطبعتها ونشرتها. ولكني استعملت في ذكر اسمه ما يسمى في مصطلح الحديث بـ: (تدليس الشيوخ)؛ وهو جائز، بل مستحسن إذا أريد به الإصلاح.. وذلك أن الشيخ يكون له اسمان؛ اشتهر بأحدهما، ولم يشتهر بالآخر، فيذكره الراوي عنه بالاسم الذي لم يشتهر به لمصلحة في ذلك. أما إذا فعل ذلك ليوهم الناس علو سنده، وترفعه عن الرواية عنه ليوهم الناس أنه لا يتنزل للرواية عن مثله لصغر سنه أو عدم شهرته وغير ذلك من حظوظ النفس الأمارة فهو مذموم.

وقد سميت الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ (محمد بن سليمان الدرعي)؛ فنسبته إلى جده، ثم نسبته إلى الدرعية، وذلك حق؛ فهي بلدته ولكن لم يشتهر بذلك .... وزاد الأمر غموضا أن في (المغرب) كورة تسمى (درعة) والنسبة إليها درعي!! فنجحت فيما قصدته من ترويج الكتاب، فقد طبعت

---

(١) محمد تقي الدين الهلالي (ولد ١٣١١هـ، بوادي سجل ماسة – توفي ٢٥ شوال ١٤٠٧ هـ / ٢٢ يونيو ١٩٨٧م) محدث ولغوي وأديب وشاعر ورحالة سلفي ظاهري مغربي، يعد أول من أدخل الدعوة السلفية إلى المغرب بعد أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي. من أبرز أعماله ترجمة صحيح البخاري إلى الإنجليزية، كما ترجم المجمع للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية جنباً إلى محمد محسن خان، الواسع الانتشار في مكتبات العالم. كان المرجع اللغوي والمشرف على إذاعة برلين العربية في فترة الحكم النازي.

(ألف نسخة) فبيعت في وقت قصير!! ولم يتفطن أحد لذلك!! حتى الشيخ أحمد بن الصديق الغماري مع سعة اطلاعه، وعلو همته في البحث، وكثرة ما في خزائنه من الكتب؛ بقي في حيرة؛ لأنه بحث في تاريخ المنسوبين إلى (درعة) فلم يجد أحدا منهم بذلك، ولا أثر عنه هذا الكتاب!!!

فبعث إلي يسألني عن هذا المؤلف!! من هو؟!! فأخبرته بالحقيقة.

ولما اطلع العالم الأجل مفتي المملكة العربية السعودية، وشيخ شيوخها محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمة الله عليه - على هذا العمل؛ استحسنه كل الاستحسان.

وإنما فعلت ذلك؛ لأن المتأخرين من رجال الدولة العثمانية حرضوا شرار العلماء في جميع البلاد الإسلامية على تشويه سمعة الشيخ (محمد بن عبدالوهاب)، وكذبوا عليه، وأوهموا أتباعهم أنه جاء بدين جديد، وأنه يتنقص جانب النبي الكريم، ويكفر المسلمين؟!! إلى غير ذلك من الأكاذيب. وقد تبين لأكثر الناس بطلان تلك الدعوى، وعلموا علم اليقين أن (محمد بن عبدالوهاب) من كبار المصلحين الذين فتح الله بدعوتهم عيونًا عميًا وآذانا صمًا، وأنه أحيا العمل بكتاب الله وسنة رسوله في جزيرة العرب بعدما كاد يندثر.

وإلى الآن لا يزال بعض الغربان ينعقون بسبه كالغراب الذي تقدم ذكره، وذلك لا يضره:

-إن كانوا مسلمين فإن سبهم له يجعل حسناتهم في صحيفته.

-وإن كانوا مشركين فإن الله يزيدهم عَذَابًا.

ولما طبع هذا الكتاب غضب عباد القبور، وأصحاب الطرائق؛ وخطب كثير من أئمة المساجد خطبة الجمعة، ونبهوا المستمعين إلى ما في هذا الكتاب من الضلال بزعمهم!! لأن توحيد الله عندهم أعظم الضلال!! ولكن لم يستمع لهم أحد.

(أما العلماء المحققون): كالأستاذ محمد الطنجي، والأستاذ المجاهد عبد السلام المرابط، والأستاذ العبقري، عبدالله كنون، فإنهم رحبوا بطبع هذا الكتاب، وأثنوا عليه، وعلى مؤلفه، وناشره.

ثم طبعتُ رسالة (زيارة القبور) مع حواشي قليلة لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، وسميته: (أحمد بن عبدالحليم الحراني)، ولم أذكر لفظ (بن تيمية)؛ للعلة السابقة الذكر، فراج الكتاب، وانتشر، ونفع الله به المسلمين.

ولما بعثت من كل من الكتابين نسخة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمة الله عليه؛ فرح بنشرهما، واستحسن الطريقة التي سلكتها؛ لبعد نظره، ووفور عقله، وحكمته.

❖❖❖ ❖❖❖

(٣) نماذج من
كتابات المعتدلين عن الوهابية

- **إلى من لا يعرف دعوة الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)، والتي أطلق عليها أعداؤها مسمى "الوهابية" لغرض تشويهها وتنفير الناس من منهجها الإسلامي الأصيل المعتدل، ننقل هنا نماذج لكلمات إنصاف كتبها ممن يمكن وضعهم في خانة أعداء دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب، وهي في إطار شهادة الأعداء أو الخصوم، فمما قالوا في ذلك.**

١- **جاء في (دائرة المعارف البريطانية):** الحركة الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها وأعداء الوهابية هم أعداء الاسلام الصحيح.

٢- **وقال المستشرق الإسباني (أرمانو):** إن كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق، فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالإسلام إلى عصر صحابة محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- **وقال المستشرق (جولدتسيهر) في كتابه (العقيدة والشريعة):** إذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السني بالحركة الوهابية، نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني، الحقيقة الآتية: (يجب على كل من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصارا للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي وأصحابه، فغاية الوهابية هي إعادة الإسلام كما كان).

٤- **قال (برناردلويس) في كتابه (العرب والتاريخ)**: وبا سم الإ سلام ا لخالي من ال شوائب ا لذي ساد في ال قرن الأول، نادى مح مد بن عبدالوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من ز يادات باعتبارها بدعاً خرافية ردة عن الإسلام الصحيح ا. هـ

٥- **وقال المستشرق الانجليزي (جب) في كتابه/ الاتجاهات المدنية في الإسلام:** أما مجال الفكر: فإن الوهابية بما قا مت به من الفتن ضد التدخلات العدوانية وضد الأصول القائلة بوحدة الوجود ا لتي تر يد تدنيس التوح يد في الإ سلام، ف قد كا نت عاملا مف يدا لل خلاص الأبدي وحركة تجديد أخذت تنجح في العالم الاسلامي شيئاً فشيئاً. اهـ

٦- **وقال بوك هارت:** (و ما الوهاب ية إن شئنا أن ن صفها إلا الإ سلام في طهارته الأولى) وقال: (لكي نصف الدين الوهابي فإن ذلك يعني وصف العقيدة الإ سلامية، و لذا فإن عل ماء القاهرة أعل نوا ان هم لم يجدوا أي هرطقة ـ أي بدعة أو خروجا عن الدين ـ في الوهابية).

٧- **قال المؤرخ الفرنسي الشهير (سيديو):** (إن انكل ترا وفرن سا حين علمتا بقيام محمد بن عبدالوهاب، وابن سعود، وبانضمام جم يع ال عرب إليه ما لأن قيامه ما كان لإح ياء كل مة ا لدين، خافتا أن ينت به المسلمون فينضموا إليهما وتذهب عنهم غفلتهم ويعود الإ سلام ك ما كان في أ يام عمر ـ رضي الله عنه ـ فيترتب على ذلك حروب دين ية وفتو حات إ سلامية ترجع أوروبا منها في خسران عظيم، فحرضتا الدولة العلية ع لى حربهم وفوضت ذلك إلى محمد علي باشا).

صدر عن المركز:

- العلاقات السعودية الروسية: في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية.
- مقدمة في العقل السياسي الإيراني.
- القيادة السياسية السوفيتية من لينين إلى غارباتشوف.
- العلاقات الروسية الخليجية.
- العلاقات السعودية الروسية من منظور استراتيجي.
- السعودية وروسيا: بواعث العلاقات وتحدياتها.
- توريا كولوف صانع تاريخ تركستان.
- تأثير الصعود الروسي على النظام الدولي.
- المستعربون الروس.
- تاريخ روسيا من روريك إلى بوتين.
- أمن الخليج العربي في ظل بيئة استراتيجية متغيرة.
- خيوط الظلام: عصر الإمامة الزيدية في اليمن.
- ولاية الفقيه والفكر الصهيوني: الأيديولوجيا والأساطير.
- العلاقات السعودية السوفيتية المتعثرة.
- تطور السياسة الخارجية السعودية.
- عهد الملك سعود في الوثائق السوفيتية.
- الإعلام السعودي: سياسته الإعلامية.
- سياسات الإعلام والسياسات الثقافية.
- تاريخ الأدب الإيراني.
- زاويتي الروسية.
- السلك الدبلوماسي السعودي، ومراحل تكوينه.
- النشاط السوفيتي في منطقة الخليج العربي.

ISBN 978-5-6046249-6-8

مركز الإعلام والدراسات العربية - الروسية
Center of Information and Arabian - Russian Studies
фонд русско-арабских исследований и информации

المقر الرئيسي: موسكو، روسيا الاتحادية - الفرع الرئيسي: ص.ب: ٢٣٠١٨٥ - الرياض: ١١٣٢١ - المملكة العربية السعودية
Head Office: Moscow, Russia - Main Branch: P.O. Box: 230185 Riyadh: 11321, Saudi Arabia
www.ciars.ru E mail: info.russianstudies@gmail.com